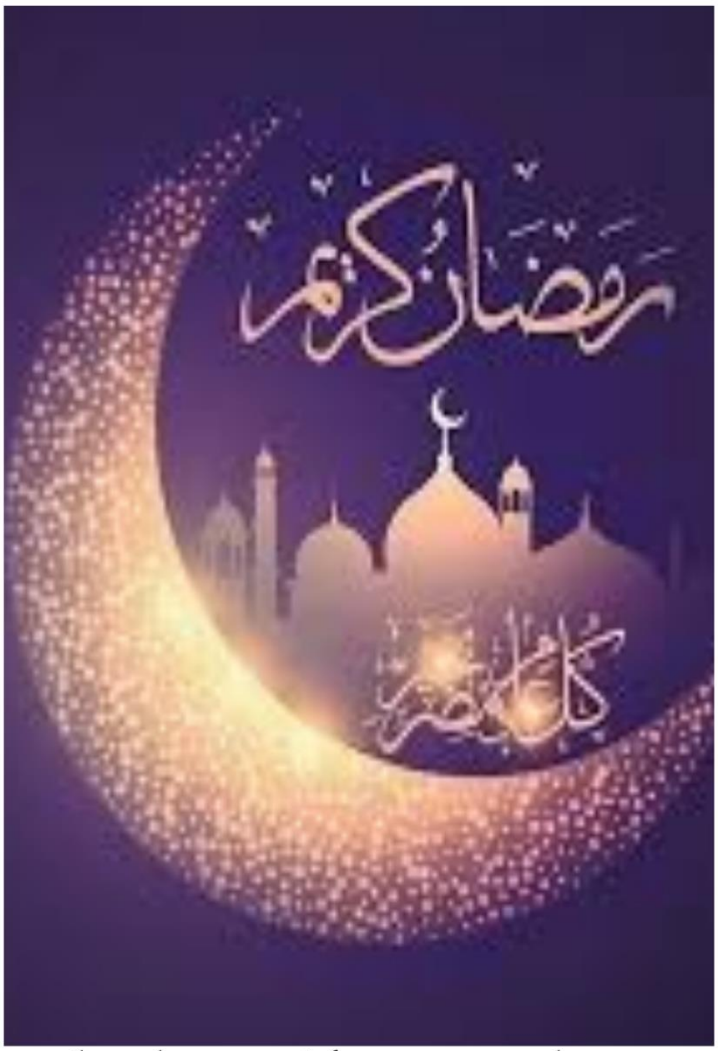

رمضان مصطفى سليمان

شهرُ رمضان

رمضان... حين يصوم الجسد لتصحو الروح

ليس رمضان مجرّد شهرٍ في دوران الزمن ، بل هو زمنٌ آخر ، تتبدّل فيه علاقة الإنسان بنفسه وبالكون وبالله. إنّه موسمُ الانبعاث الداخلي ، حيث ينسحب الجسد خطوةً إلى الخلف ، لتتقدّم الروح نحو نورها الأوّل ، متخفّفةً من أثقال العادة ، متحرّرةً من قيود الرغبة ، متطلّعةً إلى أفقٍ أرحب من الصفاء والوعي.

في هذا الشهر، لا يُختبر الامتناع عن الطعام والشراب فحسب ، بل يُختبر معنى الحرمان بوصفه طريقًا للامتلاء ، ومعنى الجوع بوصفه تربيةً على الرحمة ، ومعنى الصمت بوصفه مدخلًا للكلام مع الله.

قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: 183].

فالتقوى هنا ليست مجرّد التزامٍ أخلاقي ، بل هي حالةُ وعيٍ عميق ، وانكشافٍ داخلي، يفتح للإنسان أبواب المعرفة بالله والنفس والكون.

رمضان والتحوّل الوجودي للإنسان

الصيام كتجربة وجودية

الصيام ليس طقسًا شكليًا ، بل تجربة وجودية تعيد تشكيل علاقة الإنسان بذاته. فحين يجوع الجسد ، تشبع الروح ، وحين يصمت اللسان ، يتكلّم القلب.

يقول النبي ﷺ:

" من لم يدع قول الزور والعمل به ، فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه " (رواه البخاري).

وهذا يدلّ على أنّ جوهر الصيام ليس حرمان الجسد ، بل تهذيب الوعي.

الجوع بوصفه مدرسة للرحمة

الجوع يوقظ في الإنسان ذاكرة الفقراء، ويزرع في القلب بذرة التعاطف. قال الشاعر:

إذا الجوعُ عضَّ الفقرَ في كبريائه

تكسَّرتِ الأنفاسُ وانهدَّتْ معانيه

في رمضان، يتعلّم الإنسان كيف يشعر بآلام الآخرين ، فيتحوّل من فردٍ منعزل إلى كائنٍ اجتماعي مشدودٍ بخيط الرحمة إلى سائر البشر.

البعد الصوفي والفلسفي لرمضان

الصيام والارتقاء الروحي

يرى المتصوّفة أنّ الصيام رحلة صعود من عالم الكثافة إلى عالم اللطافة. يقول أبو حامد الغزالي: " الصوم كسر الشهوة ، وتصفية الروح ، وفتح أبواب المشاهدة ". فالجوع هنا ليس نقصًا ، بل امتلاء بالأنوار.

رمضان وزمن الكشف

في رمضان ، تتبدّل طبيعة الزمن ؛ فهو ليس عدد الأيام ، بل عمق اللحظة. الليل فيه مقام المناجاة ، والنهار مقام المجاهدة. قال تعالى:

﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا﴾ [المزمل: 6].

ويقول ابن عربي: " إذا صفا القلب في رمضان، صار مرآةً للحق ".

الأبعاد النفسية والاجتماعية للصيام

الصيام وإعادة تشكيل الذات

من الناحية النفسية ، يدرّب الصيام الإنسان على ضبط الدوافع وتأجيل الإشباع ، وهي مهارة مركزية في بناء الشخصية المتزنة. فالصائم يتعلّم الصبر ، ويتمرّن على مقاومة النزوات ، فيرتقي من مستوى الغريزة إلى مستوى الوعي.

رمضان وبناء الروابط الاجتماعية

رمضان موسم التراحم الاجتماعي ، حيث تتوسّع دوائر العطاء ، وتُبعث في المجتمع روح التكافل. قال رسول الله ﷺ:

" من فطّر صائمًا كان له مثل أجره " (رواه الترمذي).

وفي هذا إشارة إلى أنّ العبادة في الإسلام ليست فردية محضة ، بل ذات بعد اجتماعي عميق.

اللغة الرمزية والجمالية في خطاب رمضان

الصمت والكلام: جدلية التعبير

الصمت في رمضان ليس فراغًا، بل امتلاء بالمعنى. قال الشاعر:

وصمتُكَ إن طالَ الحديثَ بلاغةٌ

إذا ضاقَ عن سرّ الحقيقةِ منطقي

ففي الصمت تتكثّف المعاني ، وتتشكل اللغة الداخلية التي تخاطب الله بلا وسائط.

الشعر وتجليات الروح

الشعر العربي لطالما احتفى بحالات الصفاء والوجد ، ومن ذلك قول الحلاج:

أنا من أهوى ومن أهوى أنا نحن روحانِ حللنا بدنا

وهذا التعبير الصوفي يلتقي مع روح رمضان ، حيث تذوب الحدود بين العابد والمعبود في مقام المحبة.

رمضان ليس موسمًا عابرًا في رزنامة الأيام ، بل هو تجربة كونية تعيد صياغة الإنسان من الداخل. هو مدرسة روحية ، ومختبر نفسي ، ومجال اجتماعي ، وفضاء جمالي. فيه يتعلّم الإنسان كيف يكون أقلَّ جسدًا وأكثرَ روحًا ، أقلَّ كلامًا وأكثرَ معنى ، أقلَّ أنانيةً وأكثرَ رحمة.

وفي نهاية المطاف ، يبقى رمضان سؤالًا مفتوحًا:

هل نصوم عن الطعام فقط ، أم نصوم عن كل ما يبعدنا عن الله ؟ وهل نجوع بأجسادنا ، أم نجوع عن الشرّ لنشبع بالخير ؟

الفصل الأول:
الإطار الزمني والشرعي لشهر رمضان

رمضان في التقويم القمري

رمضان: الزمن المقدّس بين الرؤية والإيمان

رمضان ليس مجرّد شهرٍ عابرٍ في تقويم الزمن ، بل هو موعدٌ إلهيّ يتكرّر ليوقظ في الإنسان ذاكرته الروحية ، ويعيد ترتيب فوضى القلب ، ويضبط إيقاع الروح على مقام السكينة والخشوع. إنّه الشهر التاسع من السنة الهجرية ، غير أنّ ترتيبه العددي لا يختزل عظمته ، فالقيمة هنا ليست في الترتيب ، بل في التجلّي.

يبنى وجود رمضان الزمني على الرؤية لا الحساب وحده ، في تذكير رمزيّ بأن الإيمان لا يُقاس بالأرقام ، بل يُدرك بالشهادة ، ولا يُحتسب بالمعادلات ، بل يُذاق بالمشاهدة. قال النبي ﷺ:

" صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته " (متفق عليه)

فالرؤية هنا ليست رؤية العين فقط ، بل رؤية القلب ، تلك التي تُبصر الهلال في السماء ، كما تُبصر النور في الداخل ، وتدرك أن الزمن في الإسلام ليس كمًّا رياضيًا جامدًا ، بل كيانٌ حيّ يتنفّس بالعبادة ، ويتقدّس بالطاعة.

ويمضي الشهر القمري متنقّلًا بين الفصول ، فيعلّم الإنسان أن العبادة لا ترتبط بظرفٍ مثاليّ ، ولا بمزاجٍ خاصّ ، بل بصدق الامتثال ، وثبات العزيمة ، وعمق الإخلاص.

البعد الزمني لرمضان بين الرؤية والمعنى

الرؤية: فلسفة الإيمان لا حساب الفلك

جاء اعتماد الرؤية في دخول رمضان خروجًا عن النزعة الحسابية البحتة ، وتكريسًا لمفهوم الإيمان القائم على التفاعل الحيّ مع الكون. فالهلال ليس مجرّد جرمٍ سماويّ ، بل هو علامة ، ورمز ، وإشارة بدء.

قال تعالى :

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾ (البقرة: 189)

فالهلال هنا جسرٌ بين السماء والأرض ، بين الغيب والشهادة ، بين الزمن الإلهي والزمن الإنساني.

والرؤية في معناها الصوفي هي انكشاف الحجاب ، حيث يرى القلب ما لا تراه العين ، ويشعر السالك أن دخول رمضان ليس بداية شهر ، بل بداية رحلة ، وميلاد حالة ، وفتح باب.

الزمن المتحرّك: درس التجرّد والصبر

يأتي رمضان صيفًا وشتاءً ، في حرّ الشمس وبرد الشتاء ، فيعلّم الإنسان أن العبادة ليست رهينة الراحة ، بل مشروطة بالإخلاص. فالصائم في قيظ الصيف أكثر احتياجًا للصبر ، وفي برد الشتاء أكثر قربًا من الشكر.

قال الإمام علي رضي الله عنه:

" الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد ، فإذا قطع الرأس مات الجسد ".

وهكذا يغدو الصوم تدريبًا عمليًا على الصبر الوجودي ، لا مجرّد امتناع عن الطعام.

رمضان وبناء الإنسان نفسيًا واجتماعيًا

البعد النفسي: تطهير الداخل

رمضان مدرسة لتزكية النفس ، ومحراب لتصفية القلب من شوائب الأنانية ، ومن رواسب القلق ، ومن غبار الشهوات. ففي الامتناع عن المباح ، يتعلّم الإنسان ضبط الممنوع.

قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾

(البقرة: 183)

فالتقوى هنا ليست خوفًا سلبيًا ، بل وعيٌ دائم ، وحضور قلبيّ ، ومراقبة مستمرة. وهي حالة نفسية تُعيد للإنسان توازنه ، وتحرّره من التشتّت.

وفي علم النفس الحديث ، يُنظر إلى الصوم بوصفه تدريبًا على ضبط الذات ، وكسر الاعتمادية ، وتعزيز قوة الإرادة ، وهي كلها قيم تتجسّد في العبادة الإسلامية.

البعد الاجتماعي: إعادة بناء الجماعة

في رمضان تتقارب القلوب ، وتلين الطباع ، وتُمدّ جسور الرحمة. موائد الإفطار الجماعية ، وزكاة الفطر ، والصدقات ، كلها ممارسات تعيد بناء النسيج الاجتماعي.

قال النبي ﷺ:

" من فطّر صائمًا كان له مثل أجره " (الترمذي)

فالإفطار هنا يتحوّل من فعل فردي إلى مشاركة جماعية ، ومن حاجة جسدية إلى رابطة إنساني ، حيث يذوب الفارق بين الغني والفقير ، ويجتمع الناس على مائدة الرحمة.

رمضان في البعد الصوفي والفلسفي

الصوم : جوع الجسد وشبع الروح

يرى المتصوّفة في الصوم طريقًا للصفاء ، إذ بالجوع يرقّ القلب ، وتصفو البصيرة ، وتتكشف الأسرار. فكلّما خفّ ثقل الجسد ، سمت الروح.

قال الجنيد:

" الجوع مفتاح القلب ، والشبع قفل الروح " .

وفي الشعر الصوفي يقول ابن الفارض:

زدني بفرط الحب فيك تحيّرًا

وارحم حشى بلظى هواك تسعّرًا

فالصوم عندهم ليس امتناعًا ، بل اشتعال عشق ، وانجذابًا نحو المطلق.

الزمن المقدّس : الفناء في المعنى

رمضان زمنٌ خارج عن المألوف ، حيث يتحوّل اليوم إلى محراب ، والليل إلى مصباح ، والساعة إلى ذكر. وفي هذا الفضاء ، يذوق الصائم معنى الفناء عن ذاته ، والبقاء بحضور ربه.

قال تعالى:

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾ (البقرة: 186)

فالاقتراب الإلهي هنا ذروة التجربة الرمضانية ، حيث يشعر المؤمن أنّ المسافة بينه وبين السماء قد تلاشت.

التحليل الأدبي والرمزي للنص

يحمل الشهر دلالات رمزية عميقة ؛ فالرؤية تقابل الشهادة ، والحساب يقابل الإيمان ، والزمن القمري يقابل الحركة الوجودية.

رمضان هنا يُصوَّر ككائن حيّ ، له حضور ، ونبض ، ورسالة. وهذه الصورة البلاغية تمنح الشهر بعدًا وجوديًا ، لا طقوسيًا فقط.

في قوله: " الإيمان لا يُختزل في الأرقام ، بل في الشهادة " مفارقة بلاغية تُبرز الصراع بين المادّي والروحي ، بين الكمّ والكيف ، وهي ثنائية مركزية في الفلسفة الإسلامية.

كما أنّ الانتقال بين الفصول يرمز إلى تنوّع التجارب الإنسانية ، وأن العبادة لا تُؤجَّل حتى تتحقّق الراحة ، بل تُمارَس في كل الأحوال ، وهذا ما يمنح الشهر بعده التربوي العميق.

شواهد من القرآن والسنة والشعر

من القرآن

﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ (البقرة: 185)

نزول القرآن في رمضان يمنح الشهر بُعدًا معرفيًا ، حيث يتحوّل الصوم إلى قراءة ، والقراءة إلى حياة.

من السنة

" إذا جاء رمضان فُتِّحت أبواب الجنة ، وغُلِّقت أبواب النار " (البخاري)

في هذا الحديث صورة رمزية وجودية لانفتاح الأفق الروحي ، وتيسير طريق الهداية.

من الشعر العربي

قال أبو العتاهية:

إذا ما خلوت الدهر يومًا فلا تقل خلوتُ ولكن قل عليَّ رقيبُ

وهو بيت يُجسّد روح المراقبة التي يغرسها الصيام في الضمير.

رمضان ليس محطة زمنية عابرة ، بل تجربة وجودية شاملة ، تعيد تشكيل الإنسان نفسيًا، وتربويًا ، وروحيًا ، واجتماعيًا. فيه يتعلّم الإنسان كيف يوازن بين حاجات الجسد ونداء الروح ، وكيف يحوّل الجوع إلى نور ، والعطش إلى طمأنينة ، والامتناع إلى حرية.

إنّه شهر يربّي في الإنسان فضيلة الصبر ، ويوقظ فيه يقظة القلب ، ويعيد له فطرته الأولى. فإذا انقضى رمضان ، بقي أثره في النفوس الحيّة ، علامة صدق ، وبرهان قبول، وشاهد تزكية.

الفصل الثاني: أصل تسمية رمضان

رمضان ليس مجرد شهرٍ في تقويم الزمن ، بل هو زمنٌ في تقويم الروح، وموسمٌ تتفتح فيه أبواب السماء، وتلين فيه قلوب الأرض ، وتصفو فيه الأرواح من كدر الغفلة. هو مدرسة تربوية كبرى ، يتربّى فيها الإنسان على الصبر ، والزهد ، والمجاهدة ، وتحرير الذات من أسر الشهوات.

في رمضان ، يتلاقى الجوع بالجلال ، والعطش بالنور ، والحرمان بالامتلاء الروحي ، في جدلية فريدة تجعل من الصيام رحلة تطهيرية شاملة، تتجاوز حدود الجسد لتلامس أعماق النفس والروح.

الفصل الأول: المعنى اللغوي لرمضان ، دلالة الاحتراق والتحوّل

الاشتقاق اللغوي

رمضان مشتق من " الرمَض " ، وهو شدة الحر ، ويُقال: رمِضت الأرضُ إذا اشتد حرها ، ورمِضت القدم إذا احترقت من شدة الرمضاء. وقد تعددت الأقوال في سبب تسمية هذا الشهر برمضان ، وكلها تلتقي عند معنى الاحتراق والتحول:

احتراق الجوف من الجوع والعطش ، احتراق الذنوب بنار التوبة والاستغفار ، احتراق القلب بحرارة الموعظة والتذكير

وهذه المعاني لا تتناقض ، بل تتكامل في تشكيل صورة رمزية عميقة ، تجعل من رمضان شهر التطهير بالنار ، والنار هنا ليست نار العذاب ، بل نار التزكية ، كالنار التي تصهر الذهب فتُخرج خبثه ، ليغدو نقيًا مشرقًا.

قال الله تعالى:

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾ [الشمس: 9-10]

والتزكية هنا تطهيرٌ وترقية ، وكأن رمضان نارٌ رحيمة تحرق أدران النفس ، لتُطلق طاقتها النورانية الكامنة.

البعد البلاغي والدلالي

في البلاغة العربيةؤ، يُعد الاحتراق رمزًا للتحوّل والانتقال من حالٍ إلى حال ، كما في قول المتنبي:

وإذا كانت النفوسُ كبارًا تعبت في مرادِها الأجسامُ

فالنفس الكبيرة لا ترضى بالسكون ، بل تطلب المجاهدة والتطهير.

ورمضان ، بهذا المعنى ، هو شهر الإرادة الكبرى ، حيث تتجاوز النفس محدوديتها ، وتعيد تشكيل ذاتها في ضوء المعاني العليا.

الفصل الثاني: التأويل الصوفي – من احتراق الأنا إلى ميلاد القلب

الصيام في الرؤية الصوفية

في الرؤية الصوفية ، رمضان ليس امتناعًا عن الطعام والشراب فحسب ، بل هو فناءٌ عن الأنانية ، وبقاءٌ بالروح. هو احتراق " الأنا " ليولد القلب من جديد ، نقيًّا صافياً ، مستعدًا لتلقي الفيض الإلهي.

يقول ابن عطاء الله السكندري:

" ما نفع القلب شيء مثل عزلة يدخل بها ميدان فكرة. "

فالجوع ليس تعذيبًا للجسد ، بل تفريغ داخلي يتيح للنور أن يسكن ، وللروح أن تتحرر من أثقال المادة.

وفي هذا السياق ، يصبح الصوم تمرينًا على التخلّي ، والسكوت ، والانتباه ، والتأمل.

ويقول الجنيد البغدادي:

" الصوم هو حفظ الجوارح عن المخالفات ، وحفظ القلب عن الالتفات إلى غير الله. "

فالصيام الصوفي هو صيام الظاهر والباطن معًا ؛ صيام العين عن النظر الحرام ، واللسان عن اللغو ، والقلب عن الغفلة.

الفناء والبقاء: جدلية الاحتراق والبعث

يرى الصوفية أن الإنسان لا يبلغ مقام القرب إلا عبر الفناء عن ذاته ، ليبقى بالله. ورمضان هو موسم هذا الفناء المبارك ، حيث يحترق الجسد بالجوع ، وتحترق النفس بالمجاهدة ، فيولد القلب بنور جديد.

قال الحلاج:

أحرقتني في هواكَ صبابتي فوجدتُ في الاحتراقِ حياتي

فالاحتراق هنا ليس فناءً سلبياً ، بل ميلادٌ أعلى ، حيث تتحول المعاناة إلى معنى ، والحرمان إلى إشراق.

الفصل الثالث: البعد النفسي – الصيام وإعادة تشكيل الذات

الصيام وضبط الدوافع

من منظور علم النفس ، يُعد الصيام تدريبًا فعّالًا على ضبط الدوافع وتأجيل الإشباع ، وهي مهارة أساسية في بناء الشخصية المتوازنة. فالصائم يتعلم كيف يتحكم في رغباته ، لا كيف يُلغِيها ، مما يعزز قدرته على الصبر ، ويقوّي إرادته.

وقد أظهرت دراسات نفسية حديثة أن الصيام يُسهم في تقليل التوتر، وتحسين المزاج ، وتعزيز الشعور بالسلام الداخلي ، خاصة حين يقترن بالعبادة والتأمل.

التطهير النفسي

رمضان يُعيد ترتيب أولويات النفس ، ويمنحها فرصة للمراجعة والتصالح مع الذات. ففي لحظات الجوع والسكون ، تنكشف هشاشة الإنسان ، وتبرز حاجته العميقة إلى الله ، فيلين قلبه ، وتصفو سريرته.

قال رسول الله ﷺ:

" من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه. " [رواه البخاري]

فالغاية ليست الجوع ، بل نقاء القلب.

الفصل الرابع: البعد الاجتماعي ، رمضان وبناء الروح الجماعية

التكافل والتراحم

رمضان هو موسم الرحمة الاجتماعية ، حيث تتجلى قيم التكافل والتضامن ، في الصدقات ، وإفطار الصائمين ، وإعانة المحتاجين.

قال تعالى:

﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: 9]

وفي الحديث الشريف:

" من فطّر صائمًا كان له مثل أجره. " [رواه الترمذي]

في رمضان ، تذوب الفوارق الطبقية ، ويجلس الغني والفقير على مائدة واحدة ، يتقاسمان الخبز والدعاء ، في مشهد إنساني بالغ الدلالة.

إعادة بناء العلاقات

الصيام يرقّق الطباع ، ويهذّب السلوك ، فيُصلح ما أفسدته القسوة اليومية . فتصبح المجالس أكثر وُدًّا ، والكلمات ألطف ، والقلوب أقرب.

الفصل الخامس: التحليل الأدبي – رمضان في الشعر العربي

البعد الروحي في الشعر

احتفى الشعراء العرب برمضان بوصفه موسم الصفاء والنور. قال أحمد شوقي:

رمضانُ ولّى هاتها يا ساقي مشتاقُ تسعى إلى مشتاقِ

وقال آخر:

يا شهرَ صبرٍ وفيضٍ لا انقضاءَ له

فيكَ القلوبُ إلى الرحمنِ قد وَصَلَتْ

فالشعر هنا يعكس البعد الوجداني العميق لهذا الشهر ، حيث يتحول الصوم إلى نشيدٍ داخلي ، يتردّد صداه في الروح.

الرمزية الصوفية

في الأدب الصوفي ، يتحول رمضان إلى رمز للرحلة إلى الله، حيث الجوع طريق ، والسهر زاد ، والذكر رفيق.

قال ابن الفارض:

زدني بفرطِ الحبِّ فيكَ تحيّرًا

وارحم حشى بلظى هواكَ تسعّرًا

فالحيرة هنا مقام معرفي ، والاحتراق وسيلة كشف.

رمضان – من الجوع إلى النور

رمضان ليس شهر الجوع ، بل شهر النور ؛ ليس زمن الحرمان ، بل زمن الامتلاء الروحي ؛ ليس اختبارًا للجسد ، بل رحلة للروح. هو احتراق يفضي إلى إشراق ، وفناء يفضي إلى بقاء ، وصمت يثمر كلامًا حكيمًا.

في رمضان ، يولد الإنسان من جديد ، خفيف الروح ، نقي السريرة ، مستعدًا لاستئناف رحلته في الحياة بقلبٍ أصفى ، وعينٍ أبصر ، وروحٍ أقرب إلى الله.

الفصل الثالث: فضل رمضان في القرآن والسنة

شهر القرآن وليلة القدر: فلسفة الزمن المقدّس في بناء الإنسان روحياً ونفسياً واجتماعياً

يأتي شهر رمضان في الوجدان الإسلامي كضوءٍ كونيٍّ يعبر ظلمات النفس ، ونسيمٍ قدسيٍّ يوقظ الأرواح من سباتها الطويل. وليس رمضان مجرد شهرٍ في التقويم ، بل هو حالة وجودية ، ومدرسة روحية ، ومختبر نفسي ، وملتقى اجتماعي يعيد تشكيل الإنسان من الداخل والخارج. وفي قلب هذا الشهر يتنزّل القرآن ، لا باعتباره كتابَ تشريعٍ فحسب ، بل باعتباره خطابًا وجوديًا يخاطب سرّ الإنسان ومصيره ، ويقوده في دروب المعنى ، ويكشف له أسرار الوعي والسكينة.

قال تعالى:

﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ﴾ [البقرة: 185].

نزول القرآن في رمضان ليس مصادفة زمنية ، بل هو توافق دقيق بين صفاء الجوع ونقاء الوحي ، إذ لا تُفتح مغاليق الفهم إلا إذا رقَّ الجسد ، ولا تتوهج أنوار الحكمة إلا حين يخفُّ ثقل المادة.

شهر القرآن – الجوع بوابة الفهم والصفاء

فلسفة الصيام: الجوع كطريقٍ للمعرفة

الصيام ليس حرمانًا، بل تحرُّر. فحين يجوع الجسد ، تشبع الروح ، وحين يصمت الضجيج الداخلي ، ينطق القلب بالحكمة. الجوع يكسِر أنانية النفس ، ويهذّب غرائزها ، ويجعلها أكثر قابلية لتلقي الخطاب الإلهي.

قال الإمام الغزالي:

" الجوع مفتاح الخيرات ، ومفتاح القربات ".

فالقرآن لا يُفهم بعقلٍ ممتلئ ، بل بقلبٍ خاشع ، ونفسٍ منكسرة ، وروحٍ متجردة من أثقال الشهوة والأنانية. ومن هنا نفهم لماذا كان السلف

الصالح يكثرون من تلاوة القرآن في رمضان ، إذ كانوا يرون فيه موسمًا للحصاد الروحي.

قال الشافعي:

" كنت أختم في رمضان ستين ختمة، ما منها إلا في صلاة " .

وهذا السلوك ليس مبالغة في العبادة ، بل انسجام مع الإيقاع الكوني للشهر الذي تتسارع فيه أنفاس الروح ، وتتضاعف فيه القابليات الإدراكية.

القرآن كخطاب نفسي واجتماعي

القرآن في رمضان ليس خطابًا فرديًا فحسب ، بل مشروعًا جماعيًا لإعادة بناء المجتمع على أسس الرحمة والتكافل والعدل. فالقرآن حين يتنزل ، لا يُنزل معانيه على العقول فقط ، بل يُعيد تشكيل العلاقات الإنسانية.

قال تعالى:

﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء: 82].

فالشفاء هنا نفسي واجتماعي ، إذ يحرّر الإنسان من القلق ، ومن القسوة ، ومن النزعة الاستهلاكية التي تفتك بالروح . ومن هنا تتجلى حكمة الصيام في تهذيب السلوك الاجتماعي ، وإحياء روح التضامن ، وإشاعة ثقافة العطاء.

ليلة القدر – فلسفة الزمن المقدّس

الزمن بين الكمية والقيمة

ليلة القدر ليست ليلة أطول من غيرها ، لكنها أعمق.

قال تعالى:

﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ [القدر: 3].

هنا يتحرّر الزمن من كميته ، ويصير قيمة. فالقرآن يحرّر الإنسان من أسر الحسابات المادية ، ويدخله في عالم المعنى ، حيث الدقيقة قد تساوي عمرًا ، واللحظة قد تعادل دهورًا.

في الفلسفة الصوفية ، الزمن المقدّس هو لحظة الكشف، حين يلتقي المحدود باللامحدود ، والفاني بالباقي. وهي لحظة يتحوّل فيها القلب إلى مرآة صافية تعكس أنوار الحق.

قال ابن عطاء الله السكندري:

" ربَّ عمرٍ اتسعت آماده، وقلَّت أمداده، وربَّ عمرٍ قلّت أمداده، وكثرت أمداده".

ليلة القدر والتحوّل الوجودي

ليلة القدر ليست مجرد فرصة لمضاعفة الأجر ، بل لحظة تحوّل جذري في مسار الإنسان. إنها ليلة إعادة كتابة المصير ، وإعادة ترتيب الأولويات ، وتجديد العهد مع الله.

وفي السنة النبوية:

" من قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا غُفر له ما تقدم من ذنبه " .

فالقيام هنا ليس مجرد صلاة ، بل وقوف وجودي بين يدي الحق ، تعترف فيه الروح بعجزها ، وتبوح فيه النفس بضعفها ، وتغتسل فيه القلوب من أدران الغفلة.

البعد الصوفي الفلسفي في رمضان وليلة القدر

رمضان كرحلة في أعماق الذات

يرى الصوفيون أن رمضان هو موسم الكشف ، حيث تتقشع الحجب ، وتنكشف الأسرار. فالصيام يضع الإنسان في مواجهة ذاته ، ويجبره على محاورة أعماقه ، واكتشاف تناقضاته ، ومصالحة ظلاله.

يقول جلال الدين الرومي:

" الجوع هو حصان الروح الذي يحملها إلى سماء المعنى " .

ففي الجوع، يسقط الزيف ، ويظهر الصدق ، وتتجلّى حقيقة الإنسان بعيدًا عن الأقنعة الاجتماعية.

ليلة القدر كمعراج روحي

ليلة القدر هي معراج القلب ، حيث تصعد الروح إلى سماوات القرب ، وتذوق طعم الأنس ، وتغيب عن ضجيج العالم.

قال الشاعر:

يا ليلةً غُسلت بنور إلهها وسرى بها سرُّ الوجود مُجسّدا

فيها القلوب على السما متعلّقٌ والروحُ تلقى ربّها متعبّدا

في هذه الليلة ، تتجلّى وحدة الوجود في أبهى صورها ، حيث يشعر الإنسان أنه جزء من نظام كوني متكامل ، وأن أنفاسه منسوجة بخيوط القدر.

التحليل الأدبي للنصوص

تحليل آية: (شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن)

الآية توظّف الزمن بوصفه وعاءً للقداسة ، وتربط بين الشهر والقرآن في علاقة عضوية. فالزمن هنا ليس حياديًا ، بل مشحون بالمعنى ، مشبع بالنور.

التركيب البلاغي يوحي بالاختصاص ، وكأن القرآن لا يليق بنزوله إلا في هذا الشهر ، لما يحمله من صفاء وطهر.

تحليل آية: (ليلة القدر خير من ألف شهر)

تعتمد الآية على المفارقة العددية بين ليلة واحدة وألف شهر، لتكريس فلسفة القيمة مقابل الكمية. وهي دعوة صريحة لإعادة تقييم مفهوم الزمن ، وتحريره من النزعة الاستهلاكية.

رمضان ليس موسمًا عابرًا ، بل تجربة وجودية متكاملة ، تعيد صياغة الإنسان من جديد. فيه يتطهّر الجسد ، وتصفو النفس، ويشرق القلب، ويتجدّد العقل. وليلة القدر ليست مجرد محطة عبادية، بل لحظة وعي كوني، يكتشف فيها الإنسان معنى وجوده، ويعيد ترتيب علاقته بالزمن والمطلق.

وفي عالمٍ يئن تحت وطأة السرعة، والاستهلاك، والفراغ الروحي، يأتي رمضان ليذكّر الإنسان بجوهره، ويعيده إلى ذاته، ويصالحه مع ربه، ويمنحه فرصة البدء من جديد.

الفصل الرابع: رمضان والإنسان – البعد النفسي والاجتماعي

الصيام: مدرسة التحرر الروحي وبناء الإنسان

الصيام ليس مجرد امتناع عن الطعام والشراب من طلوع الفجر إلى غروب الشمس ، بل هو رحلة وجودية في أعماق النفس ، ومدرسة كبرى لإعادة تشكيل الإنسان روحيًا وأخلاقيًا وسلوكيًا. هو عبادة تتجاوز ظاهر الجسد لتنفذ إلى باطن الروح، فتصقل الإرادة ، وتوقظ الضمير ، وتفتح نوافذ القلب على معاني الرحمة ، والتكافل، والحب الإنساني.

قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (البقرة: 183).

فجعل الله الغاية الكبرى من الصيام هي التقوى ، أي اليقظة الداخلية التي تجعل الإنسان مراقبًا لذاته ، واعيًا لمسؤوليته ، متحررًا من عبودية الشهوة، متصلًا بحقيقة وجوده.

: البعد النفسي للصيام

تدريب على ضبط الذات وتحرير الإرادة

الصيام وتأجيل الرغبة: من علم النفس إلى نور الإيمان

تؤكد الدراسات النفسية الحديثة أن القدرة على تأجيل الإشباع تمثل أحد أهم مؤشرات النضج النفسي والنجاح في الحياة. وهو ما يُعرف في علم النفس بـ ضبط الذات (Self-Control).

غير أن الإسلام سبق هذه النظريات بقرون ، حين جعل الصيام تدريبًا عمليًا يوميًا على كبح النزوات ، دون قهرٍ أو عنفٍ داخلي ، بل عبر تهذيب واعٍ قائم على المحبة والنية.

قال رسول الله ﷺ:ى

" الصيام جُنّة " (رواه البخاري ومسلم).

والجنة هنا وقاية نفسية وروحية ، تحمي الإنسان من اندفاعات الغضب ، واستبداد الرغبة ، واستنزاف الطاقة الروحية.

فالصائم حين يمتنع عن المباح، يصبح أقدر على اجتناب الحرام ، وحين يجوع طوعًا ، يتحرر من الخضوع القسري لشهواته.

الصيام في الرؤية الصوفية: كسر النفس لإحياء الروح

يرى المتصوفة أن النفس بطبعها أمّارة ، وأن تهذيبها لا يكون بالقمع بل بالترويض اللطيف. والصيام هو أعظم رياضة روحية لتحقيق هذا التوازن.

قال أبو حامد الغزالي:

" الصيام يكسر سورة النفس ، ويضيق مجاري الشيطان ، ويشرق نور القلب. "

وفي لغة الصوفية:

الصيام جوع الجسد ليشبع القلب ، وسكوت المعدة ليعلو صوت الروح.

ويقول الشاعر الصوفي:

جُعتُ كي أشبعَ المعنى فأنكشفَتْ

في القلبِ أسرارُ نورٍ غير محدودِ

البعد الديني – الصيام عبادة تحرير لا قهر

الصيام من القيد إلى الحرية

قد يظن البعض أن الصيام قيدٌ ثقيل ، لكنه في حقيقته تحرير من عبودية الجسد.

قال تعالى في الحديث القدسي :

" كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به " (رواه البخاري).

فالصيام عبادة سرية ، لا يطلع عليها إلا الله ، وهذا يمنح الإنسان فرصة نادرة لممارسة الإخلاص المطلق.

والتحرر الحقيقي ليس في إشباع الرغبات ، بل في القدرة على التحكم فيها.

كما قال أحد الحكماء:

" من ملك شهوته، ملك نفسه، ومن ملك نفسه، ملك دنياه. "

الصيام وبناء الضمير الأخلاقي

حين يمتنع الصائم عن الطعام في الخلوة ، فإنما يمارس أرقى درجات المراقبة الذاتية. وهنا يتشكل الضمير الحي الذي لا يحتاج إلى رقيب خارجي.

قال تعالى:

﴿أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى﴾ (العلق: 14).

فالصيام يحوّل الإيمان من فكرة عقلية إلى حضور وجداني دائم.

البعد الاجتماعي – رمضان وإعادة تشكيل المجتمع

التكافل الاجتماعي: من الفرد إلى الجماعة

رمضان لا يصنع أفرادًا منعزلين ، بل يُعيد تشكيل المجتمع على أساس الرحمة والتكافل.

من أبرز مظاهره:

موائد الإفطار الجماعية

الصدقات والزكوات

تفقد الفقراء والمحتاجين

الإحساس الجماعي بالجوع

وهنا تتحول العبادة من طقس فردي إلى مشروع اجتماعي شامل.

قال تعالى:

﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ (الإنسان: 8).

الجوع المشترك وبناء الوعي الإنساني

حين يجوع الغني والفقير معًا، تتقارب القلوب ، وتذوب الفوارق المصطنعة.

ويقول الشاعر:

إذا اشتكى مسلمٌ في الأرضِ أوجعه

جوعُ القلوبِ قبل جوعِ الأمعاءِ

فالجوع هنا يتحول من ألمٍ فردي إلى وعي جماعي يوقظ الضمير الاجتماعي ، ويجعل الإنسان أكثر حساسية تجاه آلام الآخرين.

البعد الصوفي الفلسفي – الصيام ورحلة البحث عن المعنى

الجوع كطريق إلى النور

في الفلسفة الصوفية ، الجوع ليس حرمانًا ، بل بوابة كشف.

قال ابن عربي:

" إذا جاع الجسد، شبعت الروح ، وإذا شبعت المعدة ، نـام القلب. "

فالجوع هنا يعيد ترتيب الأولويات ، ويجعل الإنسان يطرح الأسئلة الكبرى:

من أنا ؟ ولماذا خُلقت ؟ وإلى أين أمضي ؟

الصيام والوعي الوجودي

الصيام يوقظ في الإنسان الشعور بفقره الوجودي ، وحاجته المطلقة إلى الله.

قال تعالى :

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ﴾ (فاطر: 15).

وفي لحظة الجوع ، يدرك الإنسان هشاشته ، فيتحول من الغرور إلى التواضع ، ومن الأنانية إلى الرحمة.

ويقول الشاعر:

جُعتُ حتى رأيتُ نفسي ذرةً في حضرةِ الملكِ العظيمِ الجليلِ

التحليل الأدبي

الصيام المطروح يحمل دلالات متعددة:

نفسيًا : يبرز مفهوم ضبط الذات وتأجيل الرغبة.

دينيًا : يربط الصيام بالتحرر والإخلاص.

اجتماعيًا : يسلط الضوء على التكافل والوعي الجماعي.

صوفيًا : يعمق فكرة الجوع كوسيلة كشف ومعرفة.

والأسلوب الأدبي يعتمد على:

الصورة الشعرية : جوع القلوب – نور القلب – شبع الروح .

التضاد : الجوع/الشبع – القيد/الحرية – الجسد/الروح.

التناص مع القرآن والسنة والشعر العربي.

وهذا التداخل يمنح بعدًا جماليًا وفكريًا يجعله قريبًا من العقل والقلب معًا.

الصيام ليس موسماً عابراً ، بل مشروع حياة. هو إعادة تشكيل للإنسان من الداخل ، وبناء متجدد للضمير ، وإحياء لمعاني الرحمة ، وتحرير للروح من أغلال المادة.

وفي زمن تسوده السرعة والنزعة الاستهلاكية ، يأتي الصيام ليعيد الإنسان إلى بساطته الأولى ، ويذكره بأن السعادة ليست في الامتلاك، بل في التحرر.

فطوبى لمن جعل من صيامه معراجًا للروح، ومن جوعه نورًا، ومن عطشه يقظةً، ومن إمساكه وصالًا بالله.

الفصل الخامس: الطقوس والشعائر – من الظاهر إلي الباطن

صلاة التراويح والاعتكاف:

رحلة الروح بين أنوار القيام وسكينة الخلوة

حين يُقبل شهر رمضان ، لا يُقبل زمنٌ فحسب ، بل تُقبل معه عوالم من النور ، وتفتح أبواب السماء لتستقبل الأرواح التائهة ، وتُهدهد القلوب المتعبة ، وتوقظ في الإنسان شوقه الأزلي إلى السكينة والمعنى. في رمضان ، يتخفف الجسد من أعبائه ، وتتحرر الروح من قيودها ، ويعود الإنسان إلى أصله الأول : عبدًا متأمّلًا ، ساعيًا إلى الصفاء.

ومن بين شعائر هذا الشهر العظيم ، تبرز صلاة التراويح والاعتكاف بوصفهما مسارين متكاملين في تهذيب النفس وبناء الوعي الروحي والاجتماعي والنفسي. فالتراويح استراحة للروح بعد كدّ النهار ، والاعتكاف خلوة لتصفية السرّ من ضوضاء العالم. وبين القيام والخلوة ، تتشكل معالم الطريق الصوفي ، حيث يسمو الإنسان فوق ذاته ، ويكتشف في أعماقه نبع الطمأنينة.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (البقرة: 183).

والتقوى ليست سلوكًا ظاهريًا فحسب ، بل حالة وجدانية ، ونورًا باطنيًا ، يُثمر سكينة وسلامًا.

صلاة التراويح – قيام الليل واستراحة الروح

المحور الأول: التراويح في ميزان الفقه والعبادة

صلاة التراويح من شعائر رمضان العظيمة ، سُنّةٌ مؤكدة سنّها النبي ﷺ ، حين قام بأصحابه ليالي معدودة ، ثم ترك الاجتماع خشية أن تُفرض عليهم. قال ﷺ: " من قام رمضان إيمانًا واحتسابًا غُفر له ما تقدم من ذنبه " (متفق عليه).

ثم جاء عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فجمع الناس على إمام واح د، وقال كلمته الشهيرة : " نعمت البدعة هذه " ، أي: بدعة تنظيم لا عبادة ، لأن أصلها مشروع.

وهنا تتجلى عبقرية الفقه الإسلامي في الجمع بين روح النص ومقاصد الشريعة ، فحفظ الجماعة ، وتنظيم العبادة ، وتيسير الطريق إلى الخشوع، كل ذلك من جوهر الدين.

المحور الثاني: البعد النفسي والاجتماعي لصلاة التراويح

ليست التراويح مجرد ركعات متتابعة ، بل هي طقس تطهيري للنفس. بعد نهار طويل من الصيام والعمل ومكابدة الحياة ، تأتي التراويح كنسيم رحمة ، يُطفئ لهيب القلق ، ويعيد ترتيب الفوضى الداخلية.

على المستوى النفسي، تمثل التراويح حالة تفريغ وجداني ، حيث يسكب العبد همومه بين يدي الله، فيرتد قلبه أخف وزنًا. وقد أثبتت الدراسات الحديثة أن الصلاة المنتظمة تُقلل من مستويات التوتر ، وتُحسّن الاستقرار النفسي ، وتعزز الشعور بالرضا.

أما اجتماعيًا ، فإن اجتماع المسلمين في المساجد يبعث روح الألفة ، ويُذيب الفوارق الطبقية ، حيث يقف الغني والفقير ، والعالم والعامي ، في صفٍّ واحد ، مرددين دعاءً واحدًا ، وراجين رحمةً واحدة.

المحور الثالث: التراويح في الرؤية الصوفية

في التجربة الصوفية ، تُعدّ التراويح رحلة عشقٍ إلهي. فكل ركعة ارتقاء ، وكل سجدة انكسار، وكل دمعة بوابة نور.

يقول ابن الفارض:

زدني بفرط الحب فيك تحيّرًا

وارحم حشى بلظى هواك تسعّرَا

فالمصلي في التراويح لا يبحث عن عدد الركعات ، بل عن لحظة التجلي ، حين يغيب عن العالم ، ويشهد الحضور الإلهي في قلبه.

والتراويح هنا تصبح استراحة وجودية ، لا راحة جسدية فقط ، إذ يتحرر الإنسان من ضغط الأنا ، ويذوب في بحر الذكر.

الاعتكاف – صوم القلب وخلوة المعنى

المحور الأول : مفهوم الاعتكاف شرعًا

الاعتكاف لزوم المسجد بقصد العبادة ، والانقطاع عن شواغل الدنيا. وكان النبي ﷺ يعتكف في العشر الأواخر من رمضان طلبًا لليلة القدر. قال تعالى :

﴿وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ﴾ (البقرة: 187).

والاعتكاف ليس هروبًا من الحياة ، بل عودة واعية إلى الذات ، وإعادة ضبط البوصلة الروحية.

المحور الثاني: الاعتكاف في البعد النفسي والاجتماعي

في عالم صاخب ، تتنازع فيه الأصوات ، وتشتد فيه الضغوط ، يصبح الاعتكاف ضرورة نفسية. فهو صيام عن الناس بعد صيام الجسد ، وانسحاب إيجابي من الضجيج.

إنه مساحة للتأمل ، والمحاسبة ، ومراجعة المسار.

وفي علم النفس ، تُعدّ العزلة المؤقتة الواعية أداة علاجية ، تُساعد على تفكيك التوتر ، واستعادة التوازن الداخلي.

أما اجتماعيًا ، فإن الاعتكاف يُعيد تشكيل علاقة الفرد بالمجتمع ؛ فالمعتكف يعود أكثر رحمة ، وأعمق وعيًا ، وأصدق تعاملًا.

المحور الثالث: الاعتكاف في التجربة الصوفية الفلسفية

في الفلسفة الصوفية ، الاعتكاف هو رحلة من الكثرة إلى الوحدة ، ومن الظاهر إلى الباطن. حيث يخلع السالك ثوب العادة ، ويرتدي رداء المجاهدة.

قال الجنيد: " الخلوة باب من أبواب المعرفة " .

وفي الاعتكاف ، يذوق الإنسان طعم الفناء في الذكر ، والبقاء في المحبة. هنا، يسكت العقل ، ويتكلم القلب ، وتنكشف أسرار الوجود.

ويقول جلال الدين الرومي :

خلِّ قلبك من السوى تجد الله فيه

فالاعتكاف ليس غيابًا عن العالم ، بل حضورًا في الله.

التراويح والاعتكاف – جدلية الحركة والسكون

تمثل التراويح حركة روحية ، بينما يجسد الاعتكاف سكونًا وجوديًا. وبين الحركة والسكون ، يتوازن الكيان الإنساني.

ففي التراويح ، يتحرك الجسد ، ويتجدد النشاط ، ويعلو الصوت بالقرآن ، أما في الاعتكاف ، فيسكن الجسد ، ويصمت اللسان ، وينطق القلب.

وهذا التوازن هو سر النضج الروحي ؛ إذ لا غنى عن العمل الجماعي ولا عن الخلوة الفردية ، ولا عن الفعل ولا عن التأمل.

تحليل أدبي

يعتمد التحليل على المزج بين اللغة العلمية الرصينة والأسلوب الأدبي الشعري ، في محاولة للجمع بين العقل والقلب . حيث تُستخدم الصور البلاغية لإحياء المعاني المجردة ، مثل: استراحة الروح ، رحلة العشق الإلهي، الخلوة الوجودية.

كما يوظف التخليل الاقتباسات القرآنية والنبوية والشعرية لتعميق الأثر الوجداني ، وربط الفكرة بجذورها التراثية. ويعتمد البناء الهيكلي على التدرج من الفقه إلى النفس إلى التصوف ، مما يحقق تكاملًا معرفيًا وروحيًا.

في صلاة التراويح ، تتجدد العزيمة ، وتُشحذ الهمم ، وتعلو الأرواح نحو السماء. وفي الاعتكاف ، تهدأ الأنفاس ، وتصفو القلوب ، ويولد الإنسان من جديد.

إنهما جناحان يحلق بهما المؤمن في فضاء القرب الإلهي ؛ جناح الحركة ، وجناح السكون. فمن ذاق لذة التراويح ، وعاش عمق الاعتكاف، أدرك أن العبادة ليست طقوسًا جامدة ، بل حياة نابضة ، ونورًا متدفقًا.

وفي ختام الرحلة الايمانية ، لا يبقى في القلب إلا رجاء صادق أن نكون من أهل قوله تعالى:

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ (الذاريات: 15).

الفصل السادس: رمضان والقانون والمجتمع المعاصر

بين الردع القانوني والوازع القيمي:

تختلف القوانين في معاقبة المجاهرة بالإفطار ، غير أن السؤال الأعمق لا يكمن في حدّة العقوبة ولا في صرامة النص القانوني ، بل في طبيعة الدافع الذي يحمل الإنسان على الامتناع أو الإقبال. فالمجتمع الذي يصوم خوفًا من القانون ، لا يصوم قلبه ، ولا تهتدي روحه ، لأن الدين في جوهره ليس نظام ضبط خارجي فحسب ، بل مشروع تهذيب داخلي ، وتحويل للسلوك من الإكراه إلى الاختيار ، ومن الرقابة إلى المراقبة، ومن الظاهر إلى الباطن.

فالصيام ليس إمساكًا عن الطعام فحسب ، بل إمساك عن الغفلة ، وعن قسوة القلب ، وعن التعلّق المرضي بالمادة. إنه مدرسة تربوية روحية ، ومختبر نفسي اجتماعي ، يُعيد صياغة علاقة الإنسان بذاته وبالآخر وبالكون ، ويحوّل الامتثال من خوف العقوبة إلى حب الطاعة.

بين سلطان القانون وسلطان الضمير

القانون أداة تنظيم وضبط ، ووسيلة لحماية السلم الاجتماعي ، غير أن حدوده تقف عند ظاهر السلوك. أما الضمير ، فهو الرقيب الخفي ، والسياج الداخلي الذي يحرس الفعل من الانحراف حتى في غياب العيون.

يقول الله تعالى:

﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النساء: 1)،

فالرقابة الإلهية ليست شرطة تلاحق الجسد ، بل نورًا يوقظ الوعي ، ويوقظ القلب من سباته.

فإذا صام الإنسان لأنه يخشى الغرامة أو العقوبة ، فهو في حقيقة الأمر لم يصم ، بل امتثل ظاهرًا ، بينما ظل باطنه جائعًا إلى المعنى. أما الصائم الذي يراقب الله في خلوته ، فقد ارتقى من مقام الطاعة القسرية إلى مقام العبودية الحرة.

وقد لخّص النبي ﷺ هذه الحقيقة بقوله:

" رُبَّ صَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ صِيَامِهِ إِلَّا الْجُوعُ وَالْعَطَشُ " ،

في إشارة بليغة إلى أن الصيام بلا روح عبادة ، صورة بلا حياة ، وجسد بلا قلب.

الصيام كتحوّل نفسي واجتماعي

من الناحية النفسية ، يمثل الصيام تدريبًا عالي المستوى على ضبط الذات ، وتأجيل الإشباع ، وكبح النزوات ، وهي مهارات جوهرية في بناء الشخصية المتوازنة. فالصائم يتعلم أن يقول لـ " نفسه الأمّارة ": توقفي ، فيتحرر من عبوديتها ، ويبدأ أولى خطوات السيادة الداخلية.

أما اجتماعيًا ، فالصيام يخلق شبكة من التعاطف والتكافل. إذ يشعر الغني بجوع الفقير ، وتتحرك مشاعر الرحمة في القلب ، فيتحول الصيام إلى جسر إنساني يعبر عليه الجميع نحو العدالة الاجتماعية.

قال الشاعر:

إذا ما الجوعُ عضَّ بنيك يومًا حسبتَ الناسَ كلَّهمُ عيالَا

وفي هذا المعنى يتجلى البعد الأخلاقي للصيام ، حيث يصبح الجوع وسيلة للوعي لا للعذاب ، وطريقًا للإحساس لا للحرمان.

البعد الصوفي الفلسفي للصيام

في الرؤية الصوفية ، الصيام ليس ترك الطعام ، بل ترك ما سوى الله. إنه تخلية القلب من شواغل الدنيا ، وتحليته بأنوار القرب.

قال أحد العارفين:

" الصوم صوم الجوارح عن الشهوات ، وصوم القلوب عن الالتفات ، وصوم الأرواح عن ملاحظة السوى " .

فالصائم الحق هو من يصوم فكره عن التشويش ، وقلبه عن الحقد ، ولسانه عن الأذى ، وبصره عن الحرام ، وروحه عن الغفلة.

وفي هذا السياق ، يتحول الصيام إلى رحلة فلسفية داخل الذات ، حيث يكتشف الإنسان هشاشته أمام الجوع ، فينكسر كبرياؤه ، ويتبدد وهم القوة ، ويتعلم التواضع ، فيدرك حقيقة العبودية.

يقول الله تعالى في الحديث القدسي:

" الصَّوْمُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ " ،

وفي هذا التعبير سرٌّ عظيم ، إذ ينسب الله الصيام إليه دون سائر العبادات ، لما فيه من خلوص ، إذ لا يطّلع عليه إلا الله ، فهو عبادة السر ، لا الرياء.

المجاهرة بالإفطار بين الحرية والمسؤولية

تُطرح مسألة المجاهرة بالإفطار في سياق قانوني واجتماعي ، لكن الإشكال الحقيقي ليس في الإفطار ذاته ، بل في إعلان التحدي القيمي ، وكسر الشعور الجمعي بحرمة الشهر.

فالمجاهرة ليست ممارسة حرية شخصية فقط ، بل هي خطاب رمزي ، يحمل دلالات الاستفزاز ، والاستخفاف بالمقدس ، وإضعاف الروح الجماعية.

إن الحرية الحقيقية ليست في كسر القيم ، بل في الارتقاء بها. وليست في الصدام مع المجتمع ، بل في إصلاحه بالحكمة والموعظة الحسنة.

قال تعالى:

﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ (النحل: 125).

فالمجتمع المتوازن لا يقيم وزنه على القمع ، ولا يترك الحبل على الغارب ، بل يبني منظومة أخلاقية تجعل الالتزام نابعًا من القناعة لا الخوف.

التحليل الأدبي والفلسفي للنص الأصلي

يحمل النص كثافة فكرية عالية في سطوره القليلة ، إذ يختصر فلسفة الدين في جملة واحدة: " تحويل السلوك من الخارج إلى الداخل "، وهي عبارة تنطوي على رؤية تربوية عميقة.

فالخارج يمثل السلطة ، والداخل يمثل الوعي. والدين في جوهره مشروع تحويل الإنسان من كائن منقاد إلى كائن مختار ، ومن جسد منضبط إلى روح منضبطة.

كما أن عبارة: " فالمجتمع الذي يصوم خوفًا من القانون ، لا يصوم قلبه " تكشف ببلاغة عن الفارق بين الطاعة الشكلية والطاعة الجوهرية ، بين الامتثال الظاهري والانضباط القيمي.

وهنا تتجلى البلاغة المكثفة ، التي تعتمد الإيجاز المشبع بالدلالة ، وتفتح أفقًا تأويليًا رحبًا يجمع بين الدين والفلسفة وعلم النفس والاجتماع.

إن الصيام، في جوهره ، ليس موسم جوع ، بل موسم وعي. وليس امتناعًا عن الطعام ، بل انفتاحًا على المعنى. ولا يتحقق أثره الحقيقي إلا حين يتحول من سلوك مفروض إلى تجربة روحية ، ومن عادة اجتماعية إلى عبادة قلبية.

فالقانون قد يضبط الجسد ، لكنه لا يوقظ الروح. والردع قد يمنع المخالفة ، لكنه لا يخلق القناعة. أما القيم ، فهي التي تصنع الإنسان من الداخل ، وتبني مجتمعًا لا يحتاج إلى سوط ، بل إلى ضمير حي.

وحين يصوم القلب قبل الجسد ، يصبح الصيام رسالة حياة ، لا مجرد طقس عابر.

الفصل السابع: الصحة والصيام – توازن الجسد والروح

الصيام بين حكمة التشريع وعمق الأثر النفسي والروحي

لم يكن الصيام في الإسلام مجرّد امتناع عن الطعام والشراب ، ولا مجرد تقييدٍ للشهوات الجسدية ، بل كان رحلةً وجودية عميقة ، تهدف إلى تحرير الإنسان من سجن المادة ، وإطلاق روحه في فضاءات الصفاء والمعرفة. إنه عبادة تجمع بين تهذيب النفس ، وتقويم السلوك ، وتزكية الروح ، وتوازن الجسد ، في منظومة متكاملة تُجسّد رحمة الإسلام وشموليته.

وقد أثبتت الدراسات الحديثة أن الصيام المعتدل لا يضرّ الأصحاء ، بل يحسّن بعض الوظائف الأيضية ، وينظّم النوم واليقظة ، ويعزّز الصفاء الذهني. غير أنّ الإسلام سبق هذه الاكتشافات بقرون طويلة ، حين قرر قاعدة ذهبية عظيمة، فقال تعالى:

﴿وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ [البقرة: 184].

إنها آية تختصر فلسفة التشريع الإسلامي : العبادة لا تُبنى على الإضرار ، بل على الرحمة والتيسير. وفي هذا البحث ، نسعى إلى تقديم قراءة متكاملة للصيام من زوايا دينية ، اجتماعية، نفسية ، وصوفية فلسفية ، بأسلوب أدبي يلامس الوجدان ، ويغوص في عمق المعنى.

الصيام في الرؤية الإسلامية – حكمة التشريع وأفق المقاصد

المحور الأول: الصيام عبادة تزكية لا تعذيب

جاء الصيام في الإسلام ليكون مدرسة تربوية شاملة، لا ساحة تعذيب للجسد ولا قهراً للنفس. يقول الله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: 183].

فالغاية الكبرى هي التقوى ؛ أي يقظة الضمير ، ونقاء السريرة ، وصفاء العلاقة بالله. والصيام بهذا المعنى ليس امتناعاً مادياً فحسب ، بل

تحرراً من عبودية الشهوة ، وارتقاءً بالإنسان نحو أفق أسمى من الوعي الروحي.

المحور الثاني: قاعدة اليسر ورفع الحرج

حين قال الله تعالى:

﴿وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾

أرسى مبدأً إنسانياً خالداً، قوامه: أن الدين رحمة لا مشقة ، وراحة لا عنت.

وقال النبي ﷺ:

" إن هذا الدين يُسر ، ولن يُشادّ الدين أحدٌ إلا غلبه " (رواه البخاري).

فالصيام في الإسلام ليس امتحان قدرة ، بل اختبار إخلاص ، وليس بطولة جسدية ، بل مقام روحي ، تُراعى فيه ظروف الإنسان وضعفه وحاجاته.

الصيام والصحة النفسية – قراءة علمية روحية

المحور الأول: الصيام وتنظيم الإيقاع الحيوي

أثبتت الدراسات الحديثة أن الصيام المعتدل يساهم في تحسين عمليات الأيض، وتنظيم النوم، وتحسين التركيز، وتقليل التوتر. وهذا يتوافق مع الهدي النبوي في الاقتصاد في الطعام، حيث قال ﷺ:

" ما ملأ ابن آدم وعاءً شراً من بطنه.. " (رواه الترمذي).

فالجوع المعتدل يوقظ الحواس ، ويجعل العقل أكثر صفاءً ، ويُخفّف من ثقل الجسد الذي يُثقِل الروح.

المحور الثاني: الأثر النفسي للصيام

في الصيام يتعلم الإنسان الصبر ، وضبط الانفعال ، وتأجيل الإشباع ، وهي مهارات نفسية أساسية لتحقيق التوازن الداخلي. ويغدو الصائم أكثر قدرة على التحكم في غضبه ، كما قال النبي ﷺ:

" فإن سابه أحد أو قاتله فليقل : إني صائم " .

هنا يتحول الصيام إلى آلية علاج نفسي ، تدرّب الإنسان على إدارة مشاعره ، وتحقيق السلام الداخلي.

الصيام والبعد الاجتماعي – بناء الإنسان وبناء المجتمع

المحور الأول: الصيام والتكافل الاجتماعي

حين يجوع الغني في نهار رمضان ، يشعر بآلام الفقير ، فتتحرك فيه نوازع الرحمة ، ويزداد عطاؤه. ومن هنا كان الصيام رافداً عظيماً للتكافل الاجتماعي، تتجلى ثماره في الصدقات ، وإفطار الصائمين ، وتفقد المحتاجين.

قال الشاعر:

إذا ما الجوعُ عضَّ القومَ يوماً تذكّرَ أهلُ نعمتهمُ الفقيرا

المحور الثاني: الصيام وتزكية العلاقات الإنسانية

الصيام يخفف حدّة النزاعات ، ويهذّب الخطاب ، ويزرع الحِلم. ففي شهر الصيام تتراجع الخصومات ، وتلين القلوب ، ويعلو منسوب التسامح ، فتتحقق الوحدة الاجتماعية.

الصيام في التجربة الصوفية – رحلة من الظاهر إلى الباطن

المحور الأول: الصيام مجاهدة ومشاهدة

في الفكر الصوفي ، الصيام ليس ترك الطعام فقط ، بل صيام الجوارح عن المعاصي ، وصيام القلب عن الغفلة . يقول أبو حامد الغزالي:

" ليس الصوم إمساك البطن والفرج فحسب ، بل كفّ السمع والبصر واللسان عن الآثام " .

ويقول ابن عربي :

" الصوم سرّ بين العبد وربه ، لأنه امتناع عمّا اعتاده الجسد ، ليحيا به السرّ ".

المحور الثاني: الصيام والفناء الروحي

حين يجوع الجسد ، تشبع الروح. وحين تضعف المادة ، تقوى المعاني. فالصيام في التجربة الصوفية طريق للفناء عن الأنا ، والبقاء بالله. يقول الحلاج :

جُعتُ عن الدنيا فشَبِعتُ من الهوى

وسكرتُ من غير المدامِ الأطيبا

التحليل الأدبي – جماليات الخطاب القرآني والنبوي حول الصيام

المحور الأول: بلاغة القرآن في خطاب الصيام

يتجلّى الإعجاز البلاغي في قوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾

إذ لم يقل: لتجوعوا ، أو لتتعبوا ، بل ربط الصيام بأسمى غاية أخلاقية ، وهي التقوى ، في إيجاز بليغ ، يحمل أفقاً روحياً واسعاً.

المحور الثاني: البعد الجمالي في السنة النبوية

يظهر البعد الأدبي في حديث:

" للصائم فرحتان: فرحة عند فطره ، وفرحة عند لقاء ربه "، حيث تتجسد الثنائية الوجودية بين لذة الدنيا ، وسعادة الآخرة ، في لوحة شعورية رقيقة.

الصيام ليس مجرد عبادة زمنية محدودة ، بل هو منهج حياة ، يعيد تشكيل الإنسان من الداخل ، ويصوغ علاقته بذاته ، وبالآخرين ، وبالله. وفي ضوء الآية الكريمة :

﴿وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾

يتجلى الوجه الإنساني المشرق لهذا الدين ، حيث تتوازن العبادة مع الرحمة ، ويقترن التكليف بالتيسير.

وهكذا يغدو الصيام جسراً بين الأرض والسماء ، وسفراً من عالم الحس إلى عالم المعنى ، ومدرسة لتربية الإنسان الكامل ، الذي يسمو بروحه ، ويهذّب غرائزه، ويعيش في سلام داخلي، وانسجام كوني.

الفصل الثامن: العمرة في رمضان – المكان حين يلتقي الزمان

مكّة ورمضان: تجلّيات الزمان والمكان في تهذيب الروح

حين يلتقي الزمان المقدّس بالمكان المقدّس ، تتضاعف الأسرار ، وتتنزّل البركات، وتُفتح أبواب القرب على مصاريعها. في رمضان ، شهر الصيام والقيام والقرآن ، وفي مكة ، مهوى الأفئدة ومهوى الأرواح ، تتجلّى حقيقة الإنسان في أصفى صورها ، ويقترب العبد من ذاته كما لم يقترب من قبل. ومن هنا نفهم دلالة قول النبي ﷺ:

" عمرة في رمضان تعدل حجة " ،

لا بمعنى إسقاط فريضة الحج ، ولكن بمعنى تعظيم الأجر ، وتكثيف الثواب ، وتكريم الساعين إلى الله في أقدس الأوقات وأشرف الأمكنة.

إنها رحلةٌ مزدوجة: رحلة في الجغرافيا ، ورحلة أعمق في تضاريس الروح ، حيث تتعرّى النفس من شوائبها ، وتكتشف جوهرها المكنون.

قداسة الزمان والمكان في الرؤية الإسلامية

المحور الأول: الزمان المقدّس

رمضان ليس شهرًا في التقويم فحسب ، بل حالة روحية كبرى ، زمنٌ تتنزّل فيه الرحمات ، وتُغلّق أبواب النيران ، وتُصفّد الشياطين. قال تعالى:

﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ﴾ [البقرة: 185].

فالزمن هنا ليس محايدًا ، بل فاعلٌ تربويٌّ ، يعيد تشكيل الوجدان ، ويهذّب السلوك ، ويقود النفس إلى مقام المراقبة والمحاسبة.

المحور الثاني: المكان المقدّس

أما مكة، فهي قلب العالم الروحي، وبوصلة الأرواح، قال تعالى:

﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: 96].

في مكة يشعر الإنسان بأن خطاه ليست عادية ، وأن أنفاسه ليست كسائر الأنفاس ، فكل خطوة طاعة ، وكل نظرة عبادة ، وكل دمعة قربى.

دلالة الحديث النبوي بين الفقه والروح

المحور الأول: المعنى الفقهي

قول النبي ﷺ :

" عمرة في رمضان تعدل حجة "

لا يعني أن العمرة تُسقط فريضة الحج، فالحج ركنٌ من أركان الإسلام ، لا يقوم مقامه غيره. وإنما المعنى أن ثواب العمرة في رمضان يعادل ثواب الحج من حيث الفضل ، لا من حيث الإجزاء. وهذا من سعة رحمة الله ، حيث يفتح لعباده أبواب الخير ، ويُيسّر لهم سبل القرب.

المحور الثاني: المعنى الروحي الصوفي

في البعد الصوفي ، تمثّل العمرة في رمضان عودةً إلى الأصل ، ورجوعًا إلى الذات الأولى ، حيث تنخلع الروح من أثقالها ، وتذوب في حضرة الله. إنها مقام " الانكسار الجميل " ، حيث يبكي القلب قبل العين ، ويسجد السر قبل الجسد.

قال ابن الفارض:

زدني بفرطِ الحبِّ فيك تحيّرًا وارحم حشى بلظى هواك تسعّرَا

فالعمرة في رمضان ليست طوافًا حول البيت فحسب ، بل طواف حول المعنى ، وسعيٌ بين صفا الشوق ومروة الرجاء.

الأبعاد النفسية والاجتماعية للتجربة

المحور الأول: البعد النفسي

في زحام الحياة ، تتراكم الضغوط ، وتتكسّر المرايا الداخلية ، حتى يكاد الإنسان ينسى نفسه. لكن في مكة ، في رمضان ، يحدث نوع من " الانبعاث النفسي " ، حيث تستعيد النفس توازنها ، وتتنفّس بعمق ، وتستشعر الطمأنينة.

قال تعالى:

﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: 28].

فالطواف ذكر ، والسعي ذكر ، والقيام ذكر ، والصيام ذكر ، حتى يغدو القلب بحرًا من السكينة.

المحور الثاني: البعد الاجتماعي

تذوب الفوارق الاجتماعية في الحرم ، فلا غنيّ ولا فقير، ولا عربيّ ولا أعجميّ ، بل صفٌّ واحدٌ في محراب العبودية. وهنا تتجلّى أسمى صور الأخوّة الإنسانية ، حيث يلتقي الناس على بساط واحد ، ويشربون من نبع واحد.

قال الشاعر:

الناسُ سواسيةٌ كأسنانِ مشطٍ فلا فضلَ إلا بالتقى والعملِ

التجربة الصوفية بين الرمز والحقيقة

المحور الأول: الطواف بوصفه رمزًا وجوديًّا

الطواف ليس حركة جسدية فحسب ، بل دوران الكائن حول مركز المعنى. الكعبة ترمز إلى الحقيقة المطلقة ، والطائف إنما يدور حول قلبه ، ليعيد ترتيب فوضاه الداخلية ، ويستعيد مركزه الروحي.

المحور الثاني: السعي بوصفه فلسفة للحياة

بين الصفا والمروة ، تتجلّى فلسفة السعي الإنساني: جهدٌ وأمل ، تعبٌ ورجاء ، سقوطٌ ونهوض. إنها قصة هاجر ، التي تحوّل عطشها إلى نبع ، وضعفها إلى قوة ، فصار سعيها شريعة خالدة.

تحليل أدبي مبسّط للنص النبوي

يحمل الحديث النبوي تركيبًا موجزًا كثيف الدلالة، حيث اجتمع فيه الإيجاز البلاغي ، وعمق المعنى ، وجمال الإيقاع. فقوله ﷺ: " تعدل حجة " يفتح أفقًا واسعًا للتأمل ، ويحرّك الوجدان ، ويستنهض الهمم ، دون إطالة أو تعقيد. وهذا من جوامع كلمه ﷺ، حيث تتجاوز العبارة حدودها اللفظية إلى آفاق روحية لا تنقضي.

إن العمرة في رمضان ليست رحلة عبادة فحسب ، بل تجربة وجودية متكاملة ، تعيد للإنسان إنسانيته ، وللقلب صفاءه ، وللروح نقاءها. إنها لقاء بين الزمان والمكان ، بين الظاهر والباطن ، بين الجسد والروح ، حيث يعود الإنسان من رحلته وقد وُلد من جديد.

فطوبى لمن طاف بقلبه قبل قدميه ، وسعى بروحه قبل جسده ، وعاد من مكة وهو يحمل مكة في داخله ، لا تفارقه ما دام حيًّا.

مدرسة الوعي الإنساني: رمضان بوابة التحرّر وبناء الإنسان

رمضان ليس شهرًا نمرّ به ، بل هو زمن يمرّ بنا ، يعيد ترتيب فوضى الداخل ، ويوقظ فينا الأسئلة الكبرى:

من نحن؟ وإلى أين نمضي ؟ وما معنى أن نكون بشرًا في حضرة الله ؟

إنه ليس موسم جوع ، بل موسم وعي. وليس محطة حرمان ، بل فضاء تحرّر. فيه تُختبر القلوب قبل البطون ، وتُمحّص النيّات قبل الأفعال ، وتُصقل الأرواح قبل العقول.

يقول الله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾)البقرة: 183)

فالغاية الكبرى من الصيام ليست الجوع ، بل التقوى ؛ أي يقظة الضمير ، وشفافية الروح ، ونقاء القصد.

ويقول جلال الدين الرومي:

" لماذا تبقى في السجن والباب مفتوح "

ورمضان... هو ذلك الباب المفتوح على مصراعيه ، لمن أراد الخروج من سجن العادة إلى فضاء الحرية.

رمضان وبناء الوعي الإنساني

الوعي هو إدراك الذات في علاقتها بالله ، وبالناس ، وبالكون. ورمضان مدرسة عميقة في هذا الإدراك ، إذ يُعيد الإنسان إلى مركزه الحقيقي : عبدًا لله، ومسؤولًا عن نفسه وأثره في العالم.

فالصائم لا يمتنع عن الطعام فحسب ، بل يدرّب إرادته على الكفّ ، ويهذّب نزعاته ، ويُعيد ترتيب أولوياته. وهنا تتجلّى التربية النفسية للصيام ؛ إذ يُضعف سلطان الغريزة ، ويقوّي سلطة القيم.

قال رسول الله ﷺ:

"من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه " (رواه البخاري)

فالصيام الحقيقي هو صيام الأخلاق قبل الأجساد ، وصيام القلوب قبل الأفواه.

البعد الصوفي والفلسفي للصيام

في الرؤية الصوفية ، الصيام ليس امتناعًا ، بل امتلاء . ليس نقصًا ، بل فيض. إنه فراغ ظاهري ، وامتلاء باطني. فحين تفرغ المعدة ، يمتلئ القلب ، وحين تصمت الشهوة ، ينطق الوجدان.

يقول أبو حامد الغزالي:

" الصوم نصف الصبر ، والصبر نصف الإيمان "

وفي هذا المعنى يتجلّى البعد الفلسفي للصيام : إذ يتحوّل الإنسان من كائن مستهلك إلى كائن متأمل ، ومن جسد طالب للمتعة إلى روح باحثة عن المعنى.

وفي هذا السياق يقول ابن الفارض:

زدني بفرط الحب فيك تحيرًا وارحم حشى بلظى هواك تسعّرا

فرمضان زمن الحيرة الجميلة ؛ حيث تتكسّر المألوفات، وتنكشف أسرار الوجود، وتلين القلوب لمخاطبة الله.

رمضان والتزكية النفسية والاجتماعية

الصيام ليس عبادة فردية فقط ، بل مشروع إصلاح اجتماعي شامل. فهو يوقظ الإحساس بالآخر ، ويُنمّي روح التضامن ، ويُربّي على التعاطف.

حين يجوع الغني ، يشعر بجوع الفقير. وحين يحسّ بالألم ، يدرك معنى الرحمة. ومن هنا كانت الزكاة والصدقة في رمضان أكثر حضورًا ، لأنها امتداد طبيعي لوعي الصيام.

قال النبي ﷺ:

"أحبّ الناس إلى الله أنفعهم للناس " (رواه الطبراني)

وفي البعد النفسي، يعمل الصيام على تفريغ التوترات ، وتهذيب الانفعالات ، وإعادة ضبط الإيقاع الداخلي للإنسان. فالصائم يتعلّم الصبر ، وضبط الغضب ، ومراقبة الأفكار ، مما يمنحه سلامًا داخليًا عميقًا.

البعد الأدبي والرمزي لرمضان

في الأدب العربي ، كان رمضان دائمًا رمزًا للنقاء ، والتجدد ، والانبعاث. يقول الشاعر:

أتاك الربيع الطلق يختال ضاحكًا

من الحسن حتى كاد أن يتكلّما

ورمضان هو ربيع الأرواح ، فيه تزهر المعاني ، وتخضرّ القلوب بعد يبس الغفلة.

إنه زمن رمزي تعود فيه اللغة إلى صفائها ، والدعاء إلى صدقه ، والدمعة إلى معناها. وتتحوّل الليالي إلى مواسم مناجاة ، حيث يختلي الإنسان بربه ، فيسمع صوت فطرته من جديد.

رمضان كرحلة تحرّر

رمضان رحلة خروج : خروج من أسر الشهوة ، ومن سطوة العادة ،ومن غفلة القلب.

إنه دعوة مفتوحة للتحرّر من الداخل ، لا عبر الثورة على الخارج ، بل عبر تهذيب الذات. وفي هذا المعنى ، يصبح الصيام ثورة هادئة ، تغيّر الإنسان من جذوره.

قال تعالى:

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ (الرعد: 11)

فرمضان هو فرصة هذا التغيير الجوهري، حيث يعيد الإنسان صياغة علاقته بنفسه وبخالقه وبالناس.

رمضان ليس موسم طقوس ، بل مدرسة وعي. وليس زمن امتناع ، بل زمن امتلاء. هو فرصة لإعادة بناء الإنسان من الداخل ، وترميم ما تصدّع في الروح ، وإحياء ما مات في الضمير.

إنه الباب المفتوح ، كما قال الرومي ، لمن أراد الخروج من سجن الغفلة إلى نور اليقظة ، ومن ظلمة العادة إلى إشراقة المعنى.

فطوبى لمن دخله بقلبٍ حيّ، وعقلٍ واعٍ ، وروحٍ متطلعة إلى الله.

الباب الثاني : عادات وتقاليد ثقافية في شهر رمضان

في كلّ عامٍ، حين تُطلُّ هلالاتُ رمضان على آفاق المجتمعات الإسلامية ، لا يكون قدومُ هذا الشهر مجرّد انتقالٍ زمنيّ من طورٍ إلى طور ، بل هو تحوّلٌ وجوديّ شامل ، تتبدّل فيه أنساقُ الوعي ، وتُعاد صياغة العلاقة بين الإنسان وربّه ، وبين الفرد وجماعته ، وبين الجسد وروحه. فرمضان ، في جوهره العميق ، حالةٌ حضاريةٌ متكاملة ، تنصهر فيها العبادةُ بالثقافة ، ويتآخى فيها الدينُ بالاجتماع ، وتتجسّد فيها القيمُ في سلوكٍ يوميّ نابض بالحياة ، فيتشكّل من ذلك كلّه نسيجٌ إنسانيّ فريد ، يعكس عمق التجربة الإسلامية في تماسّها بالمقدّس.

ليس رمضان مجرّد امتناعٍ عن الطعام والشراب وسائر المفطرات ، بل هو – كما يعبّر أربابُ القلوب وأهلُ التصوّف – صيامُ السرّ عن الالتفات إلى غير الله ، وصيامُ الروح عن أسر الشهوات ، وصيامُ الوجدان عن الانغماس في الغفلة . هو مدرسةٌ كبرى لإعادة بناء الإنسان من الداخل ، وتطهير باطنه من أدران الأنانية والشره والقلق ، ليغدو أكثر صفاءً ، وأشدّ قربًا من معنى الاستخلاف في الأرض.

وقد عبّر القرآن الكريم عن هذا المقصد السامي بقوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (البقرة: 183)

فالغاية النهائية من الصيام ليست الجوع والعطش ، وإنما بلوغ مقام التقوى ؛ أي ذلك الوعي الروحيّ العميق الذي يجعل الإنسان في حالة يقظةٍ دائمة ، يراقب الله في السرّ والعلن ، ويزن أفعاله بميزان الأخلاق والمسؤولية.

ومن رحم هذا المقصد الإلهي ، تَشكّلت عبر القرون عاداتٌ وتقاليد رمضانية ، لم تكن مجرّد طقوسٍ خاوية أو مظاهر اجتماعية عابرة ، بل كانت – في أصولها – رموزًا ثقافيةً مشبعة بالدلالة النفسية والاجتماعية والروحية . فموائد الإفطار الجماعية ، وصلاة التراويح ، والسهرات القرآنية ، وحلقات الذكر ، وزيارات الأقارب ، وإحياء الليالي بالقيام والدعاء ؛ كلّها أنماط سلوكية تعبّر عن روح التضامن ، وتعمّق الإحساس بالانتماء ، وتُعيد وصل ما انقطع من أواصر المودّة والرحمة.

من الناحية النفسية، يمثّل الصيام تمرينًا عاليًا على ضبط الدوافع وكبح النزوات. فالإنسان ، بطبيعته ، كائنٌ ميّال إلى الإشباع الفوريّ ، يسعى وراء اللذة ويتجنّب الألم. غير أنّ الصيام يضعه في مواجهةٍ مباشرة مع ذاته ، ويعلّمه فنّ الصبر والتأجيل ، فينتقل من منطق الاستهلاك إلى منطق المعنى ، ومن عبودية الرغبة إلى سيادة الإرادة. وقد أشار النبي ﷺ إلى هذا البعد التربوي بقوله: " الصيام جُنّة " ؛ أي وقاية وحصن من الانزلاق في مسالك الهوى والشر.

وفي هذا السياق ، يلتقي البعد الديني بالبعد الفلسفي ؛ إذ يتحوّل الصيام إلى ممارسةٍ وجودية تعيد طرح السؤال القديم : من أنا ؟ وما الغاية من وجودي ؟ وهل خُلقتُ لأكون أسيرًا لشهواتي ، أم خليفةً لله في أرضه ؟ إنّ لحظات الجوع والعطش ، حين تُعاش بوعيٍ وإيمان ، تصبح جسورًا تعبر بالإنسان من سطح الحياة إلى عمقها ، ومن المادّة إلى الروح ، ومن المحدود إلى المطلق.

أما على المستوى الاجتماعي ، فيتجلّى رمضان بوصفه موسمًا لإحياء قيم التكافل والتراحم. فالزكاة والصدقات وإفطار الصائمين ليست أعمالًا فردية معزولة ، بل هي تجلياتٌ لنظامٍ أخلاقيّ يسعى إلى تقليص الفجوة بين الطبقات ، وبناء مجتمعٍ متماسك يشعر فيه الغنيّ بمسؤوليته تجاه الفقير ، ويستعيد فيه الفقير كرامته الإنسانية. وقد قال رسول الله ﷺ:

" من فطّر صائمًا كان له مثل أجره غير أنه لا ينقص من أجر الصائم شيء " ،

وهو حديث يكشف عن عمق الرؤية الاجتماعية في الإسلام ، حيث تُكافأ المشاركة والتكافل كما يُكافأ العمل الفردي.

ولعلّ من أجمل الصور التي ترسمها الذاكرة الجماعية في المجتمعات الإسلامية مشهدُ الموائد الممتدّة في الأزقة والشوارع ، حيث يجلس الناس على اختلاف طبقاتهم وأعمارهم في صفٍّ واحد ، لا يميّز بينهم سوى التقوى. في تلك اللحظات ، تتلاشى الحدود المصطنعة ، وتذوب الفوارق الاجتماعية ، ويشعر الجميع بأنّهم أسرةٌ كبرى يجمعها الإيمان وتوحّدها القيم.

وفي التراث الأدبي العربي ، حظي رمضان بحضورٍ لافت ، حيث تغنّى الشعراء بجمال لياليه ، وروحانيّة أجوائه، ونقاء ساعاته.

يقول أحدهم:

أتاك شهرُ الصيامِ بالخيرِ والبركاتِ

فطِبْ نفسًا، وجدِّد العهدَ بالطاعاتِ

ويقول آخر في وصف لياليه:

ليالي الصومِ نورٌ في الدجى سطعـا

كأنها الفجرُ في آفاقه طلعـا

وهذا التجلّي الشعريّ ليس ترفًا لغويًّا ، بل هو تعبيرٌ عن تجربة وجدانية عميقة ، حيث تتحوّل العبادة إلى جمال ، ويتحوّل الالتزام إلى نشوة روحية.

وفي بُعده الصوفيّ ، يغدو رمضان رحلةَ سلوكٍ إلى الله ، تبدأ بالمجاهدة وتنتهي بالمشاهدة. فالصائم الحقّ – في عرف أهل التصوف – لا يصوم بجوارحه فحسب ، بل يصوم بقلبه ولسانه وعقله ، فيغضّ بصره عن الحرام ، ويكفّ لسانه عن اللغو ، ويطهّر فكره من السوء.

وقد قال الإمام الجنيد:

" الصوم نصف الصبر، والصبر مفتاح الوصول " .

وفي هذا القول تتجلّى الفلسفة الروحية للصيام بوصفه معبرًا نحو مقام الرضا والطمأنينة.

وإذا انتقلنا إلى التحليل الأدبيّ لخطاب رمضان في النصوص الدينية، وجدنا أنّ القرآن الكريم يوظّف لغةً عالية الإيقاع ، مشبعةً بالتصوير والإيحاء، تلامس شغاف القلوب قبل العقول. فقوله تعالى:

﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ﴾ (البقرة: 185)،

يربط بين الزمان المقدّس والكلام المقدّس ، فيجعل من رمضان فضاءً نزوليًّا للمعنى ، ومن الصيام سياقًا لتلقّي الهداية . فالزمن هنا ليس وعاءً محايدًا ، بل كيانٌ مشحونٌ بالقداسة ، والإنسان مدعوّ إلى الارتقاء لمستواه الروحي.

ومن زاوية علم النفس المعاصر ، يمكن النظر إلى رمضان بوصفه برنامجًا سنويًّا لإعادة التوازن النفسيّ. فالصيام ينظّم الإيقاع الحيوي للجسد ، ويخفّف من وطأة الاستهلاك المفرط ، ويُتيح للعقل فرصة الاسترخاء والتأمّل . كما أنّ الأجواء الروحية العامّة تخلق حالةً

من السكينة الجماعية ، تقلّل من معدّلات التوتر والقلق ، وتُعزّز الإحساس بالأمان والانتماء.

غير أنّ التحدّي الأكبر الذي يواجه المجتمعات الإسلامية اليوم يتمثّل في الحفاظ على روح رمضان في ظلّ تسارع الإيقاع المادي للحياة الحديثة ، حيث طغت النزعة الاستهلاكية على كثير من الممارسات ، فتحوّل الشهر – في بعض البيئات – إلى موسمٍ للإسراف الغذائي والسهر العبثي ، بدل أن يكون فرصةً للتقشّف الواعي والانضباط الروحي. وهنا يبرز الدور التربوي للمؤسسات الدينية والثقافية والإعلامية في إعادة توجيه الوعي الجمعي نحو المقاصد الكبرى للصيام.

إنّ استعادة البعد الفلسفي لرمضان تقتضي أن نقرأه بوصفه مشروعًا لإعادة بناء الإنسان ، لا مجرّد طقسٍ تعبّدي. فالصيام يدرّبنا على فنّ التخفّف ، والتخفّف يحرّرنا من أثقال المادّة ، وحين يتحرّر الإنسان ، تتّسع آفاقه للمعرفة والحبّ والعطاء .

وقد عبّر الشاعر أبو العلاء المعرّي – على طريقته الفلسفية – عن قيمة الزهد حين قال:

خفّفِ الوطءَ ما أظنُّ أديمَ الـ أرضِ إلا من هذه الأجسادِ

وكأنّ هذا البيت يذكّرنا بأنّ التعلّق المفرط بالماديات يثقل الروح ، بينما التخفّف يفتح لها أبواب السماء.

وفي ضوء ما تقدّم ، يمكن القول إنّ رمضان ليس زمنًا منقطعًا عن سياق الحياة ، بل هو قلبها النابض ، ومحورها الأخلاقيّ ، ومختبرها التربويّ. فيه تتجلّى إنسانية الإنسان في أسمى صورها ، حين يسمو على أنانيته ، ويغلب رحمته على قسوته ، ويقدّم المعنى على المنفعة. فهو شهر يعيد للروح بوصلتها ، وللقلب نبضه ، وللمجتمع تماسكه.

وهكذا، يظلّ رمضان، عبر العصور ، شاهدًا على قدرة الدين على إنتاج حضارةٍ إنسانية متوازنة ، تجمع بين العبادة والعمل ، وبين الروح والعقل ، وبين الفرد والجماعة. وإذا أحسنّا استثماره ، تحوّل من موسمٍ عابر إلى مدرسةٍ دائمة ، ومن شعيرةٍ مؤقتة إلى منهج حياة ، ومن طقسٍ تعبّدي إلى مشروع حضاري شامل.

وما أحوج الإنسان المعاصر – في عالمٍ يضجّ بالصراعات والقلق والاغتراب – إلى أن يستعيد هذا المعنى العميق ، ليجد في رمضان ملاذًا

روحيًّا ، وجسرًا نحو السلام الداخلي ، وبوابةً نحو إنسانية أرحب، تتسع له ولغيره، وتفتح أمامه أفق الأمل في عالمٍ أكثر عدلًا ورحمة.

الفصل الأول: المدفع... حين يعلن الزمن طاعته للروح

مدفع الإفطار: رمز الانضباط الجماعي

في أفقِ رمضانَ المضيء ، حيث تتداخلُ الأزمنةُ وتتماهى الأصواتُ مع خفقان القلوب ، ينهض **مدفع الإفطار** بوصفه أحد أقدم التقاليد الرمضانية في العالم الإسلامي ، علامةً سمعيةً تختزل تاريخًا طويلًا من التعبّد ، وتكثّف في دويّها القصير حكاية الإنسان مع الصبر والرجاء ، ومع الجوع بوصفه سبيلًا إلى الامتلاء الروحي. إنّ صوت المدفع لا يقتصر على كونه إعلانًا لحظةَ الإفطار ، بل يتجاوز ذلك ليغدو طقسًا جمعيًّا يوقظ الذاكرة ، ويجسّد وحدة الزمن ، ويعمّق الإحساس بالانتماء إلى جماعةٍ تتقاسم ذات الشعور ، وذات الرجاء ، وذات الارتعاش المقدّس عند مغيب الشمس.

البعد التاريخي والاجتماعي

نشأ تقليد مدفع الإفطار في سياق الحاجة إلى وسيلةٍ دقيقةٍ لإعلام الناس بموعد الغروب في الأزمنة التي سبقت الساعات الحديثة ووسائل البثّ. وقد اختلف المؤرخون في تحديد أول ظهورٍ له، فمنهم من يعيده إلى العصر المملوكي في القاهرة ، حين أُطلق مدفعٌ مصادفةً عند الغروب فظنّ الناس أنّه إعلان للإفطار ، فاستحسنوا الفكرة واستمرّت. ومنهم من يرجعه إلى العهد العثماني ، حيث استُخدم المدفع أداةً لتنظيم الزمن العام في المدن الكبرى.

غير أنّ الأهمّ من التفاصيل التاريخية هو ما راكمه هذا الطقس من **دلالات رمزية** . فالمدفع لم يعد مجرّد وسيلة إعلامية ، بل تحوّل إلى علامةٍ ثقافيةٍ تترسّخ في وجدان الأفراد منذ الطفولة ، وترتبط بذكريات البيوت الدافئة ، وموائد الرحمة ، ووجوه الأهل المتحلّقة حول لحظة الإفطار. وهنا تتجلّى الوظيفة الاجتماعية للمدفع: إذ يؤكّد وحدة الزمن بين أفراد المجتمع ، ويجعلهم يلتقون عند نقطةٍ واحدة من اليوم ، في لحظةٍ مشحونةٍ بالمعنى.

يقول الله تعالى :﴿**وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ**﴾ (البقرة: 187).

فالليل هنا ليس مجرّد توقيتٍ زمني ، بل لحظة تحوّلٍ وجوديّ ، ينتقل فيها الإنسان من حالٍ إلى حال ، ومن شدّةٍ إلى سعة ، ومن انتظارٍ إلى تحقق. وصوت المدفع هو الجسر السمعيّ الذي يعبر عليه الصائم من ضفّة الإمساك إلى ضفّة الإفطار.

البعد النفسي – من التوتّر إلى الطمأنينة

من منظورٍ نفسيّ ، يمثّل صوت المدفع لحظة انفراجٍ عميق ، تنتقل فيها النفس من حالة الترقّب المشحون إلى الطمأنينة والرضا. فالصائم طوال النهار يعيش حالةً من الضبط الذاتي ، يكبح فيها رغباته ، ويؤجّل إشباع حاجاته الأساسية ، وهذا ما يولّد توتّرًا داخليًا إيجابيًا ، سرعان ما يتحوّل عند سماع المدفع إلى شعورٍ بالراحة والانبساط.

إنّ هذه اللحظة تشبه ، في علم النفس ، ما يُعرف بـ " التحرّر الانفعالي "، حيث تنفكّ القيود النفسية فجأة ، فتغمر الجسدَ والروحَ معًا موجةٌ من الهدوء العميق. وكأن الزمن نفسه ينحني احترامًا لهذه العبادة ، فيتوقّف لبرهةٍ قصيرة ليتيح للإنسان أن يلتقط أنفاسه ، وأن يعيد ترتيب علاقته بذاته وبخالقه.

وقد عبّر النبي ﷺ عن هذا المعنى بقوله

" للصائم فرحتان : فرحة عند فطره ، وفرحة عند لقاء ربه " (متفق عليه).

فالفرحة الأولى نفسية حسّية ، تتجلّى في لحظة الإفطار ، أمّا الثانية فهي روحية أخروية ، تتجلّى في أفق اللقاء الإلهي. والمدفع ، في هذا السياق ، ليس سوى مفتاحٍ سمعيّ يفتح باب الفرحة الأولى ، ممهّدًا للثانية.

البعد الصوفي والفلسفي – فناء الجوع وبقاء المعنى

في الرؤية الصوفية ، لا يُقرأ مدفع الإفطار بوصفه إعلانًا لانتهاء الجوع فحسب ، بل يُفهم بوصفه **ناقوس الفناء** : فناء الجوع في الشبع ، وفناء المشقّة في الرضا ، وفناء الأنانية في التسليم. إنّ الصائم ، حين يسمع صوت المدفع ، لا يفرح فقط بزوال الألم ، بل يفرح بما حقّقه من مجاهدة ، وما اكتسبه من صفاء ، وما اقترب به من مقام الرضا.

وهنا يتجلّى البعد الفلسفي العميق للصيام : فالجوع ليس نقيض الامتلاء ، بل طريقه. والحرمان ليس ضدّ العطاء ، بل شرطه. فالإنسان ،

حين يفرغ ذاته من شهواتها ، يفسح المجال لامتلائها بالمعنى. وكأنّ المدفع ، في دويّه الخاطف ، يعلن نهاية مرحلة وبداية أخرى ، لا على مستوى الجسد فقط ، بل على مستوى الوعي.

قال أحد العارفين:

" بالجوع تُفتح أبواب السماء ، وبالشبع تُغلق أبواب الغفلة " .

وفي الشعر العربي نجد أصداءً لهذا المعنى، كما في قول الشاعر:

صَبرتُ ، فلمّا لاحَ فجرُ رضاهُ رأيتُ الجوعَ بابًا للوصالِ

فالجوع هنا ليس عقوبة ، بل جسرًا ، وليس ألمًا بل وعدًا ، وليس حرمانًا بل اقترابًا.

التحليل الأدبي لصورة المدفع

من الناحية الأدبية، يمثّل مدفع الإفطار صورةً رمزيةً ثريّة ، تتداخل فيها عناصر الصوت والزمن والوجدان. فالصوت ، في الأدب ، ليس مجرّد ظاهرة فيزيائية ، بل حاملٌ للمعنى. ودويّ المدفع ، بما يحمله من قوةٍ وفجائية ، يختزل لحظة التحوّل الكبرى في تجربة الصيام.

إنّ المدفع، في المخيال الجمعي ، يشبه " النداء الكوني " الذي يوقظ القلوب ، ويذكّرها بأنّ للزمن قداسة ، وأنّ للانتظار نهاية ، وأنّ لكلّ مشقّة أمدًا. ولذلك نجد حضوره متكرّرًا في السرديات الشعبية ، وفي الذكريات الطفولية ، وفي النصوص الأدبية التي تناولت رمضان بوصفه موسمًا للصفاء والتآلف.

وفي التحليل البلاغي، يمكن اعتبار المدفع **كنايةً عن الرحمة الإلهية** التي تتنزّل عند الغروب ، و**استعارةً للانفراج الوجودي** بعد الضيق. فكما ينفجر الصوت في الأفق ، تنفجر معه مشاعر الفرح في الصدور.

المدفع بين الأصالة والمعاصرة

في زمنٍ تتسارع فيه التكنولوجيا، وتتعدّد فيه وسائل الإعلام، ظلّ مدفع الإفطار محتفظًا بمكانته الرمزية ، رغم أنّ الأذان بات يُبثّ عبر الإذاعات والقنوات الفضائية والتطبيقات الذكية. وهذا الثبات يشير إلى أنّ الإنسان لا يعيش بالوسائل وحدها ، بل بالمعاني المتراكمة حولها. فالمدفع ليس مجرّد صوت ، بل ذاكرة ، وليس أداة ، بل طقس ، وليس عادة ، بل هوية.

إنّ المحافظة على هذا التقليد هي في جوهرها محافظة على **الذاكرة الثقافية** ، وعلى الصلة بين الأجيال ، حيث يتوارث الأبناء عن الآباء دهشة الإصغاء ، وترقّب اللحظة ، والشعور المشترك بالفرح. وهنا يلتقي الاجتماعي بالنفسي ، والتاريخي بالوجداني ، ليصنعوا معًا فسيفساء رمضانية لا تكتمل دون دويّ المدفع.

المدفع في ضوء القرآن والسنة والشعر

إذا كان القرآن قد ربط الصيام بالتقوى

:﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾)البقرة: 183)،

فإنّ مدفع الإفطار يمثّل لحظة التتويج لهذا المقصد ، حيث يشعر الصائم بأنّه اقترب خطوةً من التقوى ، وأنّه حقّق انتصارًا صغيرًا على ذاته.

وفي السنة النبوية، تتجلّى قيمة التوقيت والدقّة في العبادة ، كما في قوله ﷺ :

" لا يزال الناس بخير ما عجّلوا الفطر "

.فالتعجيل هنا ليس مجرّد استعجالٍ زمني ، بل استجابةٌ واعية لنداء الرحمة. والمدفع ، في هذا السياق ، هو الصوت الذي يوقظ هذه الاستجابة.

أما في الشعر العربي، فقد تغنّى الشعراء بمعاني الصبر والجوع والانتظار ، وربطوا بينها وبين النقاء الروحي. يقول أبو العتاهية:

وإنّ امرأً قد ذاق مرَّ تجرُّعٍ سيعلم أنّ الصبر أحلى من الشهدِ

وهكذا، يتحوّل الجوع الرمضاني إلى مدرسةٍ في الصبر ، ويغدو المدفع جرس نهاية الدرس ، وبداية الثمرة.

قراءة فلسفية ختامية

من منظورٍ فلسفيّ شامل ، يمكن القول إنّ مدفع الإفطار يرمز إلى **جدلية الحرمان والامتلاء** التي تحكم الوجود الإنساني . فالإنسان لا يعرف قيمة النعمة إلا إذا ذاق طعم الفقد ، ولا يدرك معنى الشبع إلا إذا خبر الجوع ، ولا يصل إلى الطمأنينة إلا عبر دروب القلق . وفي هذه

الجدلية ، يصبح الصيام تدريبًا على الوعي ، ويغدو المدفع علامةً على اكتمال دورةٍ من المجاهدة.

إنّ دويّ المدفع ، في عمقه ، ليس سوى سؤالٍ وجوديّ يتردّد في الأفق: ماذا بعد الصبر؟ والجواب يأتي في صحنٍ دافئ ، ولقمةٍ مباركة ، وابتسامةٍ عائلية ، ودعاءٍ صاعد :**اللهم تقبّل** .وهنا تتوحّد الفلسفة بالدين ، ويتعانق الجسد بالروح، ويتحوّل الزمن إلى معنى.

مدفع الإفطار ، إذن، ليس صوتًا عابرًا في سماء رمضان ، بل هو **نصّ ثقافيّ مفتوح** ، تُقرأ فيه طبقات التاريخ والاجتماع والنفس والتصوّف والفلسفة. إنّه لحظةٌ تختصر رحلة الإنسان من الإمساك إلى الانطلاق ، ومن الضيق إلى السعة ، ومن الجوع إلى الشكر. وفي كلّ مرّةٍ يدوي فيها، يعيد تذكيرنا بأنّ الحياة ، مهما اشتدّت ، لا بدّ أن تمنحنا لحظة إفطار ، وأنّ الصبر ، مهما طال ، لا بدّ أن يثمر فرحًا.

وهكذا ، يظلّ صوت المدفع شاهدًا على أنّ للزمن قلبًا يخفق ، وللعبادة صوتًا يتردّد ، وللإنسان قدرةً دائمة على أن يحوّل الألم إلى أمل ، والجوع إلى وصال ، والصمت إلى نشيدٍ من الطمأنينة.

الفصل الثاني: الحكواتي
الذاكرة الشفوية والوعي الجمعي

الحكواتي: الحكاية كفعل تربوي وروحي

الحكاية الرمضانية:

من مجالس السمر إلى فلسفة المعنى والوجود

ارتبط شهر رمضان المبارك ، عبر العصور ، بمجالس السمر والأنس الروحي ، حيث كان الناس ، بعد أن يفرغوا من إفطارهم وصلاتهم ، يلتفون حول الحكواتي في حلقات دافئة ، تنبض بالحياة والخيال ، ليستمعوا إلى قصصٍ تتجاوز كونها تسليةً عابرة ، لتغدو وسيلةً تربويةً عميقة التأثير ، وجسرًا إنسانيًا يربط بين القيم والأجيال. فالحكواتي لم يكن مجرّد راوٍ للحكايات ، بل كان مربّيًا اجتماعيًا ، وصانع وعيٍ جمعيٍّ ، وناقلًا لتراثٍ أخلاقيٍّ وإنسانيٍّ تشكّل عبر قرون من التجربة والمعاناة والتأمل.

في هذا السياق ، يمكن القول إن الحكاية الرمضانية كانت تمثّل شكلًا من أشكال " التربية بالقصص "، حيث تمتزج المتعة بالمعرفة ، والدهشة بالحكمة ، والخيال بالواقع. فالقصة ، حين تُروى في أجواء روحانية ، تصبح أداةً فعّالة لإعادة تشكيل الوعي الأخلاقي ، وتخفيف وطأة الصيام على النفس ، وبثّ الطمأنينة في القلوب. ومن هنا نفهم سرّ اعتماد النبي ﷺ على أسلوب القصص في التعليم والتوجيه ، كما في قوله:

" كان فيمن كان قبلكم رجل..... " ؛ إذ كان يبدأ حديثه بهذه العبارة ليشدّ انتباه السامعين ، ويهيّئ عقولهم لاستقبال العبرة ، فيتحوّل السرد إلى وسيلةٍ تربويةٍ تلامس القلوب قبل العقول.

البعد النفسي للحكاية في رمضان

من المنظور النفسي ، تؤدي الحكاية وظيفة علاجية عميقة ، إذ تسهم في تفريغ الشحنات الانفعالية ، وتخفيف التوتر ، وإعادة التوازن الداخلي للنفس الصائمة. فالصيام ، رغم أبعاده الروحية السامية ، قد يُحدث نوعًا من الإرهاق الجسدي والانقباض النفسي ، فتأتي القصة

لتكون بمثابة متنفسٍ وجداني ، يعيد للنفس حيويتها وانشراحها. وقد أشار علماء النفس المعاصرون إلى ما يُعرف بـ " العلاج بالقصص " (Narrative Therapy)، الذي يعتمد على إعادة بناء التجارب الإنسانية من خلال السرد ، وهو ما مارسته الثقافة الإسلامية ، بصورة فطرية ، منذ قرون طويلة.

ولعل في القرآن الكريم ما يؤكّد هذه الحقيقة ، إذ يقول الله تعالى:

﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَٰذَا الْقُرْآنَ﴾ [يوسف: 3].

فالقصص القرآني ليس مجرد سرد تاريخي ، بل هو بناء نفسي وتربوي متكامل ، يهدف إلى تثبيت الفؤاد ، وبعث الأمل ، وتربية الإرادة. وفي موضع آخر يقول سبحانه:

﴿وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ﴾ [هود: 120].

فالتثبيت هنا يحمل دلالة نفسية عميقة ، تشير إلى دور الحكاية في تقوية العزيمة ، ومواجهة القلق والاضطراب.

الحكاية بوصفها خطابًا اجتماعيًا

أما من الناحية الاجتماعية ، فقد كانت مجالس الحكاية في رمضان فضاءً جامعًا يلتقي فيه الغني والفقير ، والعالم والعامي ، في دائرة إنسانية واحدة ، يتشاركون الضحك والعبرة ، ويتساوون أمام سحر الكلمة وجلال المعنى. وهنا تتجلّى وظيفة القصة في تعزيز التماسك الاجتماعي ، وترسيخ منظومة القيم المشتركة ، مثل الصدق ، والشجاعة ، والعدل ، والإحسان ، والصبر.

وقد عبّر الشعر العربي عن هذا البعد الاجتماعي والإنساني للقصص والحكايات، كما قال أبو تمام:

نَقِّل فُؤادَكَ حَيثُ شِئتَ مِنَ الهَوى ما الحُبُّ إِلّا لِلحَبيبِ الأَوَّلِ

فالتجربة الأولى ، التي غالبًا ما تكون عبر قصة أو حكاية ، تترك أثرًا لا يُمحى في الوجدان ، وتشكّل النواة الأولى للوعي العاطفي والأخلاقي.

وفي هذا الإطار، لم تكن الحكايات الرمضانية بعيدة عن قضايا المجتمع ، بل كانت تعالج الفقر ، والظلم ، والوفاء ، والخيانة ، في إطارٍ

رمزيٍّ يجعل المتلقي يتأمل ذاته وواقعه دون مباشرة أو وعظ فجّ. وهنا تتجلّى عبقرية السرد ، حيث يتحوّل الخيال إلى مرآة تعكس الحقيقة بأبهى صورها.

البعد الصوفي: من ظاهر القصة إلى باطن الحكمة

ومن الزاوية الصوفية، تُعدّ الحكاية مرآةً للمعنى ، فالظاهر قصة ، والباطن حكمة. وقد عبّر ابن عطاء الله السكندري عن هذه الرؤية بقوله :

"الكون كله ظلمة ، وإنما أناره ظهور الحق فيه " .

فالحكاية ، في نظر المتصوفة ، ليست إلا حجابًا رقيقًا يُخفي وراءه أنوار المعنى الإلهي ، ومن يتأمل ظاهرها دون الغوص في باطنها، يفوته سرّها الأعظم.

ولهذا نجد أن كثيرًا من القصص الصوفية تعتمد الرمز والإيحاء ، كما في حكايات فريد الدين العطار في" منطق الطير "، حيث تتحوّل رحلة الطيور إلى رحلة الإنسان في بحثه عن الحقيقة المطلقة. فالهدهد رمز للمرشد الروحي ، والطريق المليء بالمخاطر رمز للمجاهدة ، والوصول إلى السيمرغ رمز للفناء في المحبوب . وفي هذا السياق ، تصبح الحكاية ضربًا من ضروب الفلسفة الروحية ، التي تعبّر عن أعمق أسئلة الوجود بلغة بسيطة قريبة من القلب.

الحكاية والفلسفة: سؤال المعنى والوجود

من منظور فلسفي ، يمكن النظر إلى الحكاية بوصفها أداة الإنسان لفهم ذاته والعالم من حوله. فالإنسان ، بطبيعته ، كائن قصصي ، لا يستطيع أن يفهم حياته إلا من خلال السرد. ومن هنا ، فإن الحكاية الرمضانية ليست مجرد ترف ثقافي ، بل هي ممارسة وجودية تعيد طرح الأسئلة الكبرى: من نحن ؟ ولماذا نصوم ؟ وما غاية وجودنا ؟

وقد أشار الفيلسوف الألماني بول ريكور إلى أن " الهوية الإنسانية تتشكّل عبر السرد " ، بمعنى أن الإنسان يبني صورته عن ذاته من خلال القصص التي يرويها عن نفسه وعن الآخرين. وفي رمضان ، حيث يشتد حضور المعنى ، تصبح الحكاية وسيلة لإعادة بناء هذه الهوية على أسس روحية وأخلاقية.

وفي القرآن الكريم ، نجد هذا البعد الفلسفي واضحًا في قصص الأنبياء ، حيث لا يُقدَّم الحدث لذاته ، بل باعتباره تجليًا لسُنن الله في الكون ، وقوانين الوجود . فقصة يوسف عليه السلام ، مثلًا، ليست مجرد حكاية عن الغدر والصبر والتمكين ، بل هي درسٌ في فلسفة الابتلاء ، وكيف يتحوّل الألم إلى أمل ، والضيق إلى فرج.

التحليل الأدبي للحكاية الرمضانية

من الناحية الأدبية ، تقوم الحكاية الرمضانية على عناصر أساسية : السرد المشوّق ، والشخصيات الرمزية ، والزمان الروحي ، والمكان الحميمي. فالسرد غالبًا ما يتّسم بالبساطة والوضوح ، مع توظيف الصور البلاغية التي تشدّ الانتباه وتثير الخيال. أما الشخصيات ، فهي نماذج إنسانية عامة، تمثّل الخير والشر، القوة والضعف ، الصبر والجزع.

ويتميّز الزمان الرمضاني بطابع خاص ، إذ يمتزج فيه الزمن الدنيوي بالزمن الروحي ، فيتحوّل الليل إلى فسحة للتأمل ، والنهار إلى مدرسة للصبر. أما المكان ، فهو غالبًا مجلس السمر ، أو الساحة الشعبية ، أو البيت العائلي ، وكلها فضاءات حميمة تعزّز الألفة والتواصل.

وقد عبّر الشعر العربي عن هذا الجو الروحي والاجتماعي، كما قال أحمد شوقي:

رَمَضانُ وَلّى هاتِها يا ساقي مُشتاقُ تَسعى لِمُشتاقِ

فرغم ما في البيت من طابع وجداني ، إلا أنه يعكس شوق الإنسان إلى لحظات الصفاء والأنس التي يحملها هذا الشهر.

الحكاية بين التراث والواقع المعاصر

في عصرنا الراهن ، ومع هيمنة الوسائط الرقمية ، تراجعت مجالس الحكواتي التقليدية ، لكن الحاجة إلى الحكاية لم تتراجع ، بل اتخذت أشكالًا جديدة ، عبر المسلسلات الرمضانية ، والبرامج الدينية ، والمنصات الرقمية. غير أن التحدي الأكبر يتمثّل في الحفاظ على العمق القيمي والروحي للحكاية ، وعدم اختزالها في مجرد ترفيه سطحي.

فالمطلوب اليوم هو إحياء روح الحكاية ، لا شكلها فقط ، أي إعادة الاعتبار لوظيفتها التربوية والنفسية والفلسفية ، بحيث تظل أداة لبناء الإنسان ، لا مجرد وسيلة لتمضية الوقت. وهنا تتجلّى مسؤولية

المثقفين والدعاة والمربين في تقديم خطاب قصصي يجمع بين الجمال الفني والعمق المعنوي.

في المحصلة، يمكن القول إن الحكاية الرمضانية ليست مجرد تراث شعبي عابر، بل هي ظاهرة ثقافية مركّبة ، تتداخل فيها الأبعاد الدينية والاجتماعية والنفسية والفلسفية. فهي تربيةٌ للوجدان ، وشفاءٌ للنفس ، وبناءٌ للهوية ، وجسرٌ بين الماضي والحاضر . ومن خلال استلهام القرآن الكريم ، والسنة النبوية ، والشعر العربي ، والتراث الصوفي ، تتجلّى الحكاية بوصفها لغةً كونية ، تعبّر عن أعمق ما في الإنسان من شوقٍ إلى المعنى ، وتوقٍ إلى الحقيقة.

وهكذا يظل رمضان، بما يحمله من روحانية ودفء إنساني ، موسمًا للحكاية الكبرى : حكاية الإنسان في رحلته نحو النور ، حيث يصبح السرد صلاةً أخرى ، والكلمة صدقةً جارية ، والمعنى سبيلًا إلى الله.

الفصل الثالث: فوازير رمضان

الفوازير: ذكاء مرح ومعرفة مغلّفة بالبهجة

فوازير رمضان بين الترفيه والتربية:

قراءة دينية اجتماعية نفسية فلسفية

الحمد لله الذي جعل من الأزمنة مواسم للارتقاء الروحي ، ومحطاتٍ لإعادة ترتيب النفس والوعي ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد ﷺ الذي علّم الإنسانية كيف تصغي لنداء الفطرة ، وتوازن بين جدّ الحياة ولهوها ، وبين العبادة ومتطلبات النفس ، فقال :

" روّحوا القلوب ساعة بعد ساعة، فإن القلوب إذا كلّت عميت ".

يأتي شهر رمضان في الوجدان الجمعي بوصفه زمن الصفاء ، وموسم التهذيب ، وميدان المجاهدة ، لكنه في الوقت ذاته فسحة للفرح المشروع ، وساحة لإعادة اكتشاف الإنسان لطاقاته الروحية والعقلية.

وفي هذا الإطار ، برزت **فوازير رمضان** كأحد أبرز مظاهر الترفيه الثقافي ، الذي لا يكتفي بإدخال السرور على القلوب ، بل يتجاوز ذلك ليغدو تدريبًا ذهنيًا جماعيًا ، يعيد الاعتبار للفرح بوصفه قيمة إنسانية عميقة ، لا نقيضًا للجد ، بل شريكًا له في صناعة التوازن النفسي والاجتماعي.

الفوازير بين اللهو المباح والترويح التربوي

إن الفوازير ، في جوهرها ، ليست مجرد تسلية عابرة ، ولا لهوًا فارغًا ، وإنما هي شكل من أشكال **اللعب المعرفي** ، الذي يحرّك العقل ، ويوقظ الدهشة ، ويستثير ملكة السؤال. وقد أدرك الإسلام هذه الحاجة الإنسانية ، فشرّع الترويح بضوابطه الأخلاقية ، وأكد على أهمية التوازن بين العبادة ومتطلبات النفس.

قال تعالى:

﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾ الأعراف: 32.

فالفرح في الإسلام ليس ترفًا مذمومًا ، بل هو ضرورة نفسية، ومطلب فطري ، ما دام منضبطًا بقيم الخير والفضيلة. ومن هنا ، يمكن النظر إلى الفوازير بوصفها **جسرًا تربويًا** يربط بين الجدّ والمرح ، وبين العقل واللعب ، وبين السؤال والدهشة.

البعد النفسي للفوازير وأثرها في التوازن الانفعالي

من منظور علم النفس ، تؤدي الفوازير دورًا مهمًا في تفريغ الضغوط النفسية ، وتخفيف التوتر الناتج عن إيقاع الحياة اليومية ، خاصة في شهر الصيام ، حيث تتغير الأنماط الحيوية للإنسان ، وتتبدل عاداته الغذائية والنومية.

إن المشاركة في حل الألغاز تنشّط مناطق التفكير العليا في الدماغ ، وتُحفّز إفراز هرمونات السعادة مثل **الدوبامين** ، مما يعزز الشعور بالرضا النفسي ، ويقوّي الدافعية الإيجابية. كما أن هذا التفاعل الجماعي يولّد حالة من **الانسجام الاجتماعي** ، إذ يجتمع أفراد الأسرة أو المجتمع حول لغز واحد ، فيتحول التفكير إلى نشاط جماعي ، تتلاقح فيه العقول ، وتتشابك فيه المشاعر.

وقد أشار النبي ﷺ إلى هذا المعنى حين قال :

"إن لبدنك عليك حقًّا ، وإن لعينك عليك حقًّا ، وإن لنفسك عليك حقًّا " .

فالفوازير ، من هذا المنطلق ، ليست ترفًا زائدًا ، بل ضرورة نفسية ، تُسهم في إعادة التوازن الداخلي ، وتمنح الصائم طاقة ذهنية تعينه على مواصلة رحلة التهذيب الروحي.

الفزورة بوصفها سؤالًا فلسفيًا عن الوجود

فلسفيًا، يمكن النظر إلى الفزورة بوصفها **تمرينًا وجوديًا** على طرح السؤال. فالسؤال في جوهره هو مفتاح المعرفة ، وبداية الحكمة. وليس الغرض من الفزورة الوصول إلى الجواب بقدر ما هو **السير في طريق البحث** ، واستكشاف الممكن ، واختبار حدود العقل.

وهنا تتقاطع الفزورة مع السؤال الوجودي الكبير : من نحن ؟ ولماذا نحن هنا ؟ وإلى أين نمضي؟

فالإنسان منذ فجر التاريخ ، وهو يطرح الأسئلة بحثًا عن المعنى ، وعن غاية الوجود. وقد جاء القرآن الكريم ليوقظ هذه الملكة ، ويحث الإنسان على التأمل والتفكر:

﴿أَفَلَا يَتَفَكَّرُونَ﴾ ، ﴿أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾ ، ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾.

وهكذا، يصبح السؤال في الفزورة صورة مصغّرة عن السؤال الفلسفي الأكبر:

ليس المهم الجواب ، بل الطريق إليه ، بما يحمله من تجربة ، ومعاناة فكرية ، ولذة اكتشاف.

الفوازير في التراث العربي بين الحكمة والدهشة

لم تكن الفوازير وليدة العصر الحديث ، بل عرفها العرب قديمًا في أشكال متعددة من **الألغاز الشعرية والنثرية** ، التي كانت تُطرح في المجالس الأدبية والعلمية ، اختبارًا للذكاء ، وتنشيطًا للعقل.

ومن أشهر ذلك قول أحدهم:

ما هو الشيء الذي يمشي بلا قدمٍ

ويبكي بلا عينٍ ويُسمع بلا أذنِ؟

وقد برع الشعراء في صياغة الألغاز ، فجعلوها مزيجًا من الفن والذكاء ، ومن الحكمة والطرافة. يقول أبو العلاء المعري:

وإني وإن كنت الأخير زمانُه لآتٍ بما لم تستطعه الأوائلُ

وفي هذا البيت إشارة إلى روح التحدي العقلي ، والرغبة في تجاوز المألوف ، وهي ذات الروح التي تحرّك الفزورة.

البعد الاجتماعي للفوازير في رمضان

تلعب الفوازير دورًا اجتماعيًا بارزًا في تعزيز الروابط الأسرية والمجتمعية. ففي ليالي رمضان ، حيث تجتمع الأسرة بعد الإفطار ، تتحول الفزورة إلى **وسيلة للحوار والتفاعل** ، تذيب الفوارق العمرية ، وتخلق مساحة مشتركة بين الصغير والكبير.

إن هذا التفاعل يعيد إحياء مفهوم **المجتمع المتآلف** ، الذي يشترك أفراده في الفرح والتفكير، في السؤال والبحث، بعيدًا عن العزلة الرقمية التي فرضتها الشاشات الحديثة.

وفي هذا السياق، يتجلى قول الله تعالى:

﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾،

حيث يتحول التعاون في حل الفوازير إلى صورة رمزية للتعاون في شؤون الحياة كافة.

الفوازير كمدخل للتربية القيمية

يمكن توظيف الفوازير بوصفها أداة تربوية فعّالة ، لغرس القيم الدينية والأخلاقية والإنسانية. فبدل أن تكون أسئلة سطحية ، يمكن أن تحمل في طياتها معاني الصدق ، والأمانة ، والتواضع ، والصبر ، والتفكر.

مثال ذلك فزورة تقول:

ما هو الشيء الذي كلما أخذتَ منه كبر؟ والجواب :**الحفرة**.

وهنا يمكن إسقاط المعنى على القيم الأخلاقية : فكلما أخذ الإنسان من الدنيا بلا حساب ، ازداد فراغه الداخلي ، واتسعت حفرة روحه. وهذا المعنى يتناغم مع قول الله تعالى:

﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾.

التحليل الأدبي للفزورة

من الناحية الأدبية ، تعتمد الفزورة على **الإيحاء** ، **والتكثيف** ، **والمفارقة** .فهي تُقدّم صورة لغوية مختزلة ، تفتح أمام القارئ أو المستمع فضاءً من الاحتمالات. وهذا ما يجعلها قريبة من الشعر ، بل إنها في كثير من الأحيان تتخذ شكلًا شعريًا موزونًا.

وتكمن جمالية الفزورة في قدرتها على الجمع بين **الغموض والوضوح**؛ فهي غامضة بما يكفي لإثارة التفكير ، وواضحة بما يكفي لإمكانية الوصول إلى الحل. وهذه الثنائية هي سرّ سحرها الفني.

الفوازير والبعد الروحي في رمضان

في شهر رمضان ، تكتسب الفوازير بعدًا روحيًا خاصًا ، إذ تتحول إلى وسيلة لإيقاظ العقل والقلب معًا. فالصائم ، وهو يعيش حالة من الصفاء الروحي ، يكون أكثر استعدادًا للتأمل والتفكر ، وأكثر قابلية لاكتشاف المعاني العميقة خلف الأسئلة البسيطة.

وهنا تتجلى حكمة النبي ﷺ حين قال :

"للصائم فرحتان: فرحة عند فطره، وفرحة عند لقاء ربه. "

فالفوازير تسهم في صناعة **فرحة الفطر** ، بما تحمله من بهجة عقلية وروحية ، تمهّد لفرحة اللقاء الأكبر.

إن فوازير رمضان ليست مجرد لحظات عابرة من التسلية ، بل هي ظاهرة ثقافية تربوية نفسية فلسفية ، تختزل في بساطتها عمق التجربة الإنسانية في البحث عن المعنى. فهي تدريب على السؤال ، وتمرين على التفكير ، وجسر يصل بين العقل والقلب ، وبين الفرد والمجتمع ، وبين الأرض والسماء.

وفي زمن تتسارع فيه وتيرة الحياة ، وتضيق فيه مساحات التأمل ، تأتي الفوازير لتذكّرنا بأن **الدهشة أصل الحكمة** ، وأن السؤال بداية الطريق إلى النور ، وأن الفرح قيمة إنسانية لا تقل قداسة عن العبادة ، ما دام يقود إلى معرفة الله، وإعمار النفس ، وصناعة الإنسان المتوازن.

الإفطار الجماعي: حين تتساوى الأيدي والقلوب

الإفطار الجماعي في شهر رمضان المبارك ليس مجرّد عادة اجتماعية عابرة ، بل هو طقس إنساني مركّب ، تتداخل فيه الأبعاد الدينية والاجتماعية والنفسية والفلسفية والصوفية ، ليشكّل لوحة حضارية ناصعة تعبّر عن روح الإسلام في أبهى تجلّياتها. ففي هذه اللحظة اليومية التي يلتقي فيها الناس حول مائدة واحدة ، تتلاشى الحواجز الطبقية ، وتذوب الفروق الاجتماعية ، ويجلس الغني والفقير ، والقوي والضعيف ، والعالم والأمّي، في مشهد من المساواة الوجدانية والإنسانية العميقة ، وكأنّ الزمان والمكان يعيدان ترتيب سلّم القيم ، فتتقدّم الرحمة ، ويتراجع التفاخر ، ويعلو صوت الأخوّة.

لقد أرسى الإسلام هذا المبدأ منذ فجر الدعوة ، حين جعل إطعام الطعام من أعظم القربات ، وربطه بالإيمان الصادق، فقال تعالى:

﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۝ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا﴾ الإنسان: 8–9.

فهذه الآية ترسم فلسفة العطاء في أنقى صورها ، حيث يتحرّر الفعل من أي دافع نفعي أو مصلحة ذاتية ، ويتحوّل إلى عبادة خالصة ، ووسيلة لتزكية النفس ، وتطهير القلب من شوائب الأنانية.

وفي السنّة النبوية الشريفة ، جاء الحثّ الصريح على تفطير الصائمين ، لما فيه من أجر عظيم ومعنى إنساني جليل ، فقال النبي ﷺ:

" مَن فطّر صائمًا كان له مثل أجره غير أنّه لا ينقص من أجر الصائم شيء».

هذا الحديث لا يختزل الفعل في مجرد إشباع جسدي ، بل يرفعه إلى مرتبة المشاركة الروحية ، حيث يصبح المُفطِر شريكًا في الثواب ، وكأنّ الأجر يتكاثر بتكاثر القلوب التي تتعاون على البرّ والتقوى.

من الناحية الاجتماعية ، يمثّل الإفطار الجماعي أداة فعّالة في تعزيز روح التضامن والتكافل. فهو يعيد بناء الجسور بين أفراد المجتمع ، ويقوّي شبكة العلاقات الإنسانية ، ويزرع في النفوس معنى المسؤولية المشتركة. حين يجلس الناس على مائدة واحدة ، لا يسألون عن الأنساب ولا عن الأرصدة البنكية ، بل يتبادلون الدعاء والابتسامة ، ويتقاسمون

الخبز والتمر وكوب الماء. في تلك اللحظة ، يتحوّل الطعام إلى لغة عالمية ، تنطق بالمحبّة ، وتعبّر عن وحدة المصير الإنساني.

ويحضر هنا قول الله تعالى:

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: 10]،

ليؤكّد أنّ الأخوّة ليست شعارًا نظريًا ، بل ممارسة يومية تتجسّد في أفعال ملموسة ، أبرزها مشاركة الطعام ، ومواساة المحتاج ، وإشعار الضعيف بكرامته الإنسانية. فالإفطار الجماعي يقدّم نموذجًا عمليًا لما يمكن أن تكون عليه المجتمعات حين تسودها قيم الرحمة والعدل.

أما من الزاوية النفسية ، فإن هذا التقليد الرمضاني يلبّي حاجة إنسانية عميقة إلى الانتماء والأمان. فالإنسان بطبعه كائن اجتماعي ، يتألّم بالعزلة ، ويأنس بالجماعة. وفي لحظة الإفطار ، يشعر الفرد أنّه جزء من كيان أكبر ، وأنّ معاناته في الصيام لم تكن فردية معزولة ، بل تجربة مشتركة تفيض بالمعنى. هذا الإحساس بالانتماء يعزّز التوازن النفسي ، ويخفّف من وطأة القلق ، ويمنح الإنسان طاقة إيجابية تجعله أكثر قدرة على مواجهة تحدّيات الحياة.

وقد أثبتت دراسات علم النفس الاجتماعي أنّ المشاركة الجماعية في الطقوس الدينية تزيد من إفراز هرمونات السعادة ، مثل " الأوكسيتوسين " ، الذي يرتبط بمشاعر الثقة والتعاطف. وهكذا ، يتجلّى البعد العلاجي للإفطار الجماعي ، حيث يصبح الدّين رافدًا للصحة النفسية ، لا مجرّد منظومة شعائرية جامدة.

وفي الأفق الصوفي ، يرتقي الإفطار الجماعي إلى مقام الفناء في الجماعة ، حيث يذوب الأنا الفردي في بحر الـ " نحن " ، وتتحرّر الذات من مركزيتها الضيقة ، لتتّسع للآخرين. فالصوفي حين يشارك إخوانه الطعام ، لا يرى في ذلك إشباعًا للجوع ، بل تدريبًا روحيًا على التواضع ، وكسرًا لغرور النفس ، وتطهيرًا للقلب من حبّ التملّك. وقد عبّر جلال الدين الرومي عن هذا المعنى بقوله:

" حين تجلس مع الآخرين على مائدة واحدة، تتعلّم كيف تُقسّم قلبك قبل أن تقسّم خبزك."

ومن منظور فلسفي ، يمكن النظر إلى الإفطار الجماعي بوصفه فعلًا مقاومًا لثقافة الفردانية المفرطة التي تسود عالمنا المعاصر. ففي زمن تُقاس فيه قيمة الإنسان بما يملك لا بما يمنح ، يأتي هذا الطقس

ليذكّرنا بأنّ الوجود الإنساني لا يكتمل إلا في فضاء المشاركة. إنّ الجلوس إلى مائدة مشتركة هو إعلان رمزي عن رفض العزلة ، وتأكيد على أنّ المعنى الحقيقي للحياة ينبع من التواصل والتراحم.

ولعلّ الفيلسوف إيمانويل ليفيناس يقترب من هذا المعنى حين يجعل " الآخر " مركز الأخلاق، ويرى أنّ مسؤوليتنا تجاهه سابقة على أي اعتبار آخر.

فالإفطار الجماعي يضعنا وجهًا لوجه أمام الآخر الجائع ، ويستنهض فينا واجب العطاء ، لا بوصفه تفضّلًا ، بل باعتباره استجابة أخلاقية لنداء إنساني أصيل.

أما الأدب العربي، فقد زخَر بصور الكرم والجود وإطعام الطعام ، بوصفها علامات على سموّ النفس ونبل الأخلاق. يقول حاتم الطائي:

وأطعمُ ضيفي قبلَ نفسي وإنني

أرى الجوعَ عارًا للكرامِ شنيعَا

ويقول الشاعر:

إذا لم يكن في العيشِ وصلٌ ورحمةٌ

فكلُّ صيامٍ دونَ حبِّ جوعُ

فالبيت الأخير يلخّص فلسفة الصيام في جوهرها ، حيث لا قيمة للجوع إن لم يتحوّل إلى جسرٍ نحو المحبة ، ولا معنى للحرمان إن لم يثمر تعاطفًا ورحمة.

وفي تحليل أدبي مبسّط ، نلاحظ أنّ الشاعر يربط بين الصيام والحبّ ، رابطًا جدليًا يجعل من المحبة شرطًا لتمام العبادة. فالصيام بلا رحمة مجرّد ممارسة شكلية ، بينما الصيام المقرون بالحبّ يتحوّل إلى تجربة روحية عميقة ، تُعيد تشكيل الإنسان من الداخل.

ولعلّ من أجمل الأمثلة التاريخية على الإفطار الجماعي ما كان يفعله النبي ﷺ وصحابته، حيث كانوا يقتسمون القليل ، ويواسون بعضهم البعض ، ويقدّمون غيرهم على أنفسهم. وقد مدح القرآن هذا السلوك في وصف الأنصار:

﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: 9].

الإيثار هنا يبلغ ذروته، حين يتخلّى الإنسان عن بعض حاجته ليشبع غيره ، فيسمو بذلك إلى أعلى درجات الإنسانية.

وفي واقعنا المعاصر ، تتجلّى صور الإفطار الجماعي في موائد الرحمن المنتشرة في الشوارع والساحات ، حيث تمتد الأيدي بالعطاء ، وتُفتح القلوب بالمحبّة. هذه الموائد ليست فقط حلولًا آنية لمشكلة الفقر ، بل رسائل رمزية قوية تؤكّد أنّ المجتمع ما زال يحتفظ بنبضه الأخلاقي ، رغم تحدّيات العولمة والاستهلاك.

غير أنّ القيمة الحقيقية لهذه الموائد لا تكمن في كثرة الطعام ، بل في صدق النيّة ، ونقاء المقصد ، واحترام كرامة الإنسان. فالعطاء الذي يُقدَّم باستعلاء يفقد جوهره ، بينما العطاء المقرون بالتواضع يثمر ألفةً ومحبةً صادقة.

ومن هنا ، يصبح الإفطار الجماعي مدرسة تربوية متكاملة ، يتعلّم فيها الطفل معنى المشاركة ، ويكتسب الشابّ فضيلة العطاء ، ويستعيد فيها الكبير دفء الانتماء. إنها لحظة تتربّى فيها النفوس على قيم الصبر والشكر والرحمة ، وتُصاغ فيها شخصية الإنسان المسلم في أبهى صورها.

وفي الخلاصة، يمكن القول إن الإفطار الجماعي في رمضان ليس مجرّد عادة اجتماعية ، بل هو ممارسة حضارية شاملة ، تختزل رؤية الإسلام للإنسان والكون والحياة. إنه فعل ديني ، وتجربة نفسية ، ورسالة اجتماعية ، ورمز فلسفي ، وإشراقة صوفية. وفي زمن تتكاثر فيه أسباب الفرقة ، يبقى هذا الطقس المبارك شاهدًا على إمكانية اللقاء ، ودليلًا على أنّ موائد المحبة أوسع من كل موائد الطعام.

وهكذا، يظلّ رمضان ، بما يحمله من إفطار جماعي ، موسمًا سنويًا لتجديد العهد مع القيم الكبرى: الرحمة ، والعدل ، والإيثار ، والتواضع.

وفي كل لقمة تُقتسم ، وكل دعاء يُرفع ، وكل ابتسامة تُهدى ، يتجلّى المعنى الأسمى للإنسانية ، ويُكتب فصل جديد من فصول النور في كتاب الحياة.

الفصل الخامس: فوانيس رمضان... النور كرمز وجودي

الفانوس: الضوء في عتمة النفس

الفانوس الرمضاني: رمزُ النور بين الفطرة والروح والهوية

ليس الفانوس الرمضانيُّ مجرّدَ لعبةٍ طفوليّةٍ تُضيء دروب اللهو في ليالي الشهر الكريم ، بل هو رمزٌ حضاريٌّ عميق ، يتجاوز سطح المظهر إلى جوهر المعنى ، ويتخطّى حدود الزينة إلى آفاق الروح ، حيث يتجلّى النور بوصفه حقيقةً كونيةً وروحيةً ونفسيةً واجتماعية.

إنّ الفانوس في الذاكرة الجمعيّة الإسلامية يمثّل نقطة التقاء بين الطفولة والقداسة ، وبين الفطرة والإيمان ، وبين الجمال الظاهري والنور الباطني ، في تماهٍ دقيق يعبّر عن فلسفة الإنسان في سعيه نحو الهداية.

الضوء في الثقافة الصوفية ليس عنصرًا ماديًّا فحسب ، بل هو تجلٍّ إلهيٌّ يرمز إلى الهداية والكشف واليقين. يقول الله تعالى:

﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ (النور: 35)،

وهي آيةٌ جامعة ، تحتشد فيها معاني الوجود والنور والخلق والهداية ، حتى عدّها العلماء من أعمق آيات القرآن دلالةً ورمزًا. فالنور الإلهي ليس ضوءًا يُرى بالبصر وحده ، بل إشراقًا يُدرك بالبصيرة ، وسرًّا يتجلّى في القلب قبل أن يسطع في العين.

من هذا المنطلق ، يغدو الفانوس امتدادًا رمزيًا للنور الإلهي في التجربة الإنسانية ، وحاملًا لمعاني الطهارة والبراءة ، إذ يمسك الطفل بفانوسه كما يمسك القلبُ بنور فطرته الأولى.

فالطفولة في التصوّر الإسلامي حالةُ صفاءٍ وجوديّ ، يلتقي فيها الإنسان بذاته الأولى قبل أن تعكّرها شوائب الحياة. وقد أشار النبي ﷺ إلى هذا المعنى بقوله:

"كل مولود يولد على الفطرة ، فأبواه يهوّدانه أو ينصّرانه أو يمجّسانه " (رواه البخاري ومسلم).

فالفطرة هنا نورٌ كامن ، والفانوس صورةٌ حسّية لذلك النور.

في البعد النفسي ، يمثّل الفانوس حالة الأمان الوجداني لدى الطفل. فالنور في علم النفس الرمزي يعبّر عن الطمأنينة والانتماء والدفء العاطفي ، بينما الظلام يرمز إلى الخوف والقلق والغربة.

وحين يسير الطفل بفانوسه في ليالي رمضان ، فإنّه لا يحمل أداة إضاءة فحسب ، بل يحمل شعورًا داخليًا بالانتماء إلى جماعةٍ روحيةٍ كبرى ، وإلى طقسٍ مقدّسٍ تتعانق فيه الذكريات الجماعية مع التطلّعات الفردية.

أما في البعد الاجتماعي ، فالفانوس يمثّل علامةً على التلاحم المجتمعي والتكافل الإنساني. إذ تتبدّى مظاهر رمضان في الشوارع والأحياء والأسواق ، حيث تتعلّق الفوانيس على الشرفات ، وتُضاء الأزقة ، فتتحوّل المدن إلى فضاءاتٍ من النور المشترك ، في مشهدٍ يذكّرنا بوحدة الأمة وتكامل أفرادها. ويغدو الفانوس لغةً صامتةً للحبّ والتراحم ، ورسالةً بصريةً تؤكّد أن النور حين يتقاسمُه الناس يزداد اتساعًا وإشراقًا.

وفي البعد الفلسفي ، يمكن قراءة الفانوس بوصفه رمزًا لمسيرة الإنسان في بحثه الأزلي عن المعنى.

فالإنسان كائنٌ سائل ، متطلّع إلى الحقيقة ، يفتّش في ظلمات الجهل عن قبسٍ من اليقين. وهنا يلتقي رمز الفانوس مع الرؤية الفلسفية الإسلامية التي ترى في النور مفتاح المعرفة.

يقول الغزالي في "*مشكاة الأنوار* :"

" النور هو الظاهر بنفسه المظهر لغيره " ، أي أنّ المعرفة الحقيقية لا تُنال إلا بانكشاف النور في القلب.

وفي هذا السياق ، يصبح الفانوس تجسيدًا مصغّرًا لمسيرة السالك الصوفي في طريق الحقّ ، إذ يبدأ بخطوةٍ صغيرة في ظلمة النفس ، حاملاً قبس الأمل ، حتى يبلغ مقام المشاهدة والطمأنينة. وكما قال ابن الفارض:

زادني الحبُّ فيك وَجدًا يا نورَ عيني ويا سُؤلي

فالضوء هنا ليس حسّيًا ، بل نورُ الشوق والمعرفة.

وقد وظّف الشعر العربي رمز النور والفانوس في سياقاتٍ روحية وعاطفية متعدّدة، فالنور في المخيال الشعري هو صورة الجمال الإلهي والإنساني معًا. يقول المتنبي:

وأظلمُ أهلِ الظلمِ من بات حاسدًا لمن بات في نعمائه يتقلّبُ

فالنعمة هنا نور، والحسد ظلمة. وفي شعر أبي العلاء المعرّي:

تعبٌ كلّها الحياةُ فما أعجبُ إلا من راغبٍ في ازديادِ

وهو تعبير فلسفي عن ظلمة الوجود حين يغيب النور الإيماني.

أما في السنّة النبوية ، فقد تكرّر توظيف النور في التعبير عن الهداية والاستقامة ، كما في قوله ﷺ:

" الصلاة نور، والصدقة برهان ، والصبر ضياء " (رواه مسلم).

وهنا يفرّق الحديث بدقةٍ بين *النور* و*الضياء* ، في إشارةٍ إلى تدرّج الإشراق الروحي ، وهو ما ينسجم مع رمزية الفانوس الذي يبدأ بوهجٍ بسيط ثم يشتدّ إشراقه.

وفي التحليل الأدبي الرمزي ، يمكن النظر إلى الفانوس باعتباره علامةً سيميائية مركّبة ، تجمع بين الشكل والدلالة. فشكله الهندسي التقليدي يوحي بالانسجام والتوازن ، وألوانه المتعدّدة تعكس تنوّع التجربة الإنسانية ، أما ضوؤه فيحيل إلى الحقيقة الواحدة التي تتجلّى بأشكالٍ شتّى. وهنا تتجلّى براعة الثقافة الشعبية الإسلامية في تحويل المفاهيم الكبرى إلى رموزٍ بسيطة، قابلة للإدراك من جميع الفئات العمرية.

إنّ الفانوس ، في هذا السياق ، ليس مجرّد إرثٍ فولكلوري ، بل خطابٌ ثقافيٌّ متكامل ، يُعيد تشكيل الوعي الجمعي ، ويغرس في النفوس قيم النور والتسامح والصفاء. فحين يخرج الأطفال في ليالي رمضان مردّدين الأناشيد التراثية، كقولهم:

وحوي يا وحوي إيّاحة

فإنهم يعيدون إنتاج الذاكرة الثقافية للأمة ، ويؤكّدون استمرارية المعنى عبر الأجيال.

ومن منظور علم النفس التربوي، فإنّ هذه الطقوس الرمزية تُسهم في بناء الهوية الدينية والاجتماعية للطفل ، إذ تزرع فيه الإحساس بالانتماء ، وتربطه بالقيم الكبرى بطريقة غير مباشرة ، عبر الفرح واللعب والجمال. فالطفل لا يتلقّى القيم بوصفها أوامر جافة، بل يعيشها في سياقٍ احتفاليٍّ مبهج ، وهو ما يجعلها أكثر رسوخًا في وجدانه.

وفي زمن العولمة وتسارع الإيقاع المادي ، يكتسب الفانوس دلالةً مقاومة ، إذ يمثّل تشبّثًا بالهوية الثقافية في وجه طغيان الاستهلاك والاغتراب.

فالفانوس التقليدي ، رغم بساطته، يقف في مواجهة الأنماط الصناعية الجافة ، ليؤكّد أن الروح لا تُختزل في التقنية ، وأن النور الحقيقي لا يُستمدّ من المصابيح الكهربائية وحدها ، بل من القلب حين يتّصل بمصدر الهداية.

وهنا يتجلّى البعد الفلسفي العميق للفانوس ، بوصفه سؤالًا مفتوحًا حول معنى النور في حياة الإنسان: هل هو مجرّد وسيلة للرؤية ، أم هو غاية في ذاته ؟ وهل النور الخارجي يغني عن النور الداخلي ؟ تلك أسئلةٌ وجودية تضع الإنسان أمام مسؤوليته في البحث عن الحقيقة.

لقد أدرك المتصوّفة هذه الحقيقة ، فكانوا يرون في النور رمزًا للمعرفة الذوقية ، التي لا تُنال بالدرس وحده ، بل بالمجاهدة والتزكية.

قول الجنيد: " النور إذا دخل القلب انشرح وانفسح"،

وهو وصفٌ دقيق لحالة الصفاء الروحي التي يعيشها المؤمن في لحظات القرب من الله.

وفي ضوء ذلك، يمكن القول إنّ الفانوس الرمضاني ليس تفصيلًا هامشيًا في طقوس الشهر الكريم ، بل هو عنصرٌ مركزيٌّ في تشكيل التجربة الرمضانية الشاملة ، التي تمتزج فيها العبادة بالفرح ، والروح بالجمال ، والفرد بالجماعة. إنّه جسرٌ رمزيٌّ يصل الأرض بالسماء ، والطفولة بالحكمة ، والظاهر بالباطن.

وهكذا ، يغدو الفانوس خطابًا حضاريًا متكاملاً ، يعبّر عن رؤية الإسلام للنور بوصفه أصل الوجود وغاية المسير. فمن نور الفطرة يولد الإنسان ، وإلى نور الهداية يسعى ، وبينهما تتشكّل رحلته الوجودية بكل ما تحمله من أسئلةٍ وآمالٍ وآلام. وكما قال الشاعر:

إذا ما أضاءَ القلبُ نورُ هدايـةٍ

تلاشى ظلامُ الشكِّ وانكشفَ الدربُ

فالفانوس ، في النهاية ، ليس إلا ترجمةً حسّيةً لهذا النور المعنوي ، ودعوةً مفتوحةً لكل إنسان أن يحمل قبسه الخاص ، ويمضي في درب الحياة بقلبٍ مضيءٍ وروحٍ متّصلةٍ بمصدر النور الأزلي.

إنّ العادات والتقاليد الرمضانية ليست ممارسات عابرة ، بل **نصوص ثقافية حيّة** ، تختزن الوعي الجمعي ، وتعكس تفاعل الإنسان مع الزمن المقدّس.

وفي ضوء التحليل الديني والاجتماعي والنفسي والصوفي ، يتبيّن لنا أنّ رمضان ليس شهر الطقوس ، بل **شهر المعنى** ، حيث تتحوّل العادة إلى عبادة ، واللعب إلى حكمة، والجوع إلى نور.

مراجع مختارة

1. القرآن الكريم
2. صحيح البخاري ومسلم
3. ابن القيم – *زاد المعاد*
4. الغزالي – *إحياء علوم الدين*
5. ابن عطاء الله السكندري – *الحكم العطائية*
6. دراسات طبية عن الصيام(WHO, PubMed)
7. Philip Jenkins – *The Lost History of Christianity*
8. . ابن عربي، الفتوحات المكية.
9. مصطفى حجازي ، دراسات في علم النفس الإنساني
10. . مصطفى محمود، حوار مع صديقي الملحد.
11. . عبد الرحمن بدوي، الإنسان الكامل في الإسلام.
12. . دراسات طبية حديثة حول الصيام المتقطع.
13. . مدارج السالكين – ابن القيم الجوزية.
14. علي الوردي، *دراسة في طبيعة المجتمع*.
15. طه عبد الرحمن، *سؤال الأخلاق*.
16. مختارات من الشعر العربي القديم والحديث.